

مدخل إلى

عالم الظواهر الخارقة

ممدوح الشيخ

الكتاب: مدخل إلى عالم الظواهر الخارقة

المؤلف: ممدوح الشيخ

صدرت الطبعة الورقية الأولى منه عن: مكتبة بيروت - مسقط/ القاهرة -

.٢٠٠٧

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ©

لا يجوز إعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله في أي شكل أو بأي وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التصوير أو المسح الضوئي أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، كما لا يجوز تعديل المادة الموجودة في الكتاب (أو أي جزء منها) أو تحويلها أو لخلق عمل جديد.

لشراء النسخ الورقية في مصر والدول العربية:

<http://www.baitoalqarie.com>

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ظل العلم لزمن طويل يتجنب الاقتراب من معظم الظواهر الخارقة الغربية التي تتكرر في حياتنا ومن حولنا، والعلماء الرواد القلائل الذين حاولوا التصدي لبعض هذه الظواهر صادفوا من الهجوم والسخرية والتسفيه ما اقنع باقي العلماء بعدم محاولة الاقتراب من ذلك التيه الحافل بالمخاطر.

وهكذا تراكمت الخرافات حول هذه الظواهر جيلاً بعد جيل مما جعل مهمة الباحث المحقق أكثر صعوبة، وأصبح عليه أن يعثر على الحقيقة الضائعة كالإبرة وسط أكوام القش.^(١) وللظاهرة التي نحن بصدها في هذه الدراسة سمة خاصة، فالإنسان منذ أقدم العصور يتساءل:

ماذا عن الغد؟

^١ - راجي عنایت - تفسير الأحلام والتنجيم - ص ٥.

ومحاولة الإجابة عن هذا السؤال اتخذت أشكالاً متباينة على مدى التاريخ الإنساني، وفي جميع الحضارات الكبيرة وبين مختلف المجتمعات البدائية نجد أشكالاً متعددة للبحث عما يجيء به الغد.. إنه التحدي الذي استعصى على قدرة الإنسان رغم ما حصله من علم.^(٢)

إن هذه الدراسة هي الثانية بعد دراسة سابقة نشرتها مكتبة ابن سينا بعنوان "أشهر الأحلام في التاريخ" (١٩٩٣) وكلاهما محاولة لرصد أثر الروح والظواهر الروحانية في تحريك التاريخ البشري من خلال الوقائع التاريخية والحقائق العلمية. إنها في النهاية محاولة نسأل الله التوفيق فيها.

ممدوح الشيخ

الفصل الأول

"سيهزم الجمع ويولون الدبر"

الحديث عن التنبؤ حديث مثير ومزعج في آن، وله خطره على عقيدة المتحدث والسامع لأنه يتصل بعلم الغيب الذي اختص الله سبحانه وتعالى به نفسه "ولله غيب السموات والأرض"، كما يبدو للوهلة الأولى - ومن ناحية أخرى - متعارضاً مع روح العصر الذي يعرف بعصر العلم والذي لا يقبل هذه الخرافات - إن صح وصفها بأنها خرافات.

ولكي يزول هذا الإشكال نقرأ معاً كلاماً مهماً للمفكر الإسلامي الشيخ محمد مهدي شمس الدين تحت عنوان "المغيبات في الفكر الديني" يقول فيه:

"في ناس هذا العصر من إذا وقعت أبصارهم على هذا العنوان طاف على ثغورهم شبح ابتسامة، ولاح في أعينهم بريق الضوء، واتسمت معالم وجوههم بأمارات الاستنكار، ولم كل هذا؟.

لأننا في هذا العصر الآلي لا نستطيع - إذا أردنا أن نحترم أنفسنا وعقولنا - أن نؤمن بوجود إنسان يعلم الغيب، إنسان تنقش أمام عينه حجب القرون وتنطوي المسافات فيقرأ المستقبل البعيد أو الخاطر الساعة التي هو فيها.

وطبيعة الثقافة المنحرفة التي يتلقاها إنسان هذا العصر في كل مكان هي التي دفعت
بهمؤلاء إلى أن يقفوا هذا الموقف ويتجهوا هذا المتجه في إنكار كل دعوى تذهب إلى أن في
الإنسان شيئاً آخر وراء غده وخلياه.

الثقافة الحديثة هي التي تفرض على الإنسان مثل هذا الموقف، فهذه الثقافة تعتبر
الإنسان آلة ولا شيء وراء الغدد والأعصاب يمكن أن يعتبر موجهاً للنشاط الإنساني
وباعتنا له؟ وقد بلغ التعصب لهذه الفكرة ذروته في القرن التاسع بعد أن تبنت الفلسفة
على يد ديكارت وهوبس هذه الفكرة وكذلك تبنتها مدارس علم النفس التي تنكرت
جميعاً للروح".

ولأن الروح ليست مُدركة ولا يمكن أن تقع موضوعاً صالحاً للتجربة فقد أنكر
العلم وجودها، ولكن!!

لقد عادت هذه الظاهرة ففرضت نفسها على العلماء من جديد وغدت الظواهر
الخارقة - كالتنبؤ وغيره - موضوعاً للبحث العلمي عند علماء مشهورين أمثال:

سير أوليفر لودج

وليم كروكس

ألفريد رسل والاس

وهم من أعضاء الجمعية العلمية الملكية.

ووليم جيمس وهنري سدجويك وهنري برجسون، وتشارلز إليوت نورثون أستاذ بجامعة هارفارد، ووليم ليوبولد أستاذ علم النفس والفلسفة في جامعة بنسلفانيا والفلكي الفرنسي المشهور كاميل فلامريون وتوماس هكسلي.

وهذا العدد في تعاضم يوما بعد يوم.

وكانت أول خطوة في سبيل التثبيت من صدق هذه الظاهرة تأليف جمعية المباحث النفسية في بريطانيا سنة ١٨٨٢ واشترك فيها عدد كبير من العلماء والفلاسفة وأصدرت مجلة رأس تحريرها البروفسور هنري سدجويك.

وكان لنجاح هذه الجمعية صداه في أنحاء العالم فأُسست لها فروعاً في فرنسا وأمريكا وهولندا والدانمارك والنرويج وغيرها، وقد اكتشف الباحثون أن في الإنسان ملكات نفسية خارقة أهمها ثلاث:

١- تناقل الأفكار.

٢- رؤية الأشياء من وراء حاجز.

٣- التنبؤ.

وفي عام ١٩٣٠ أسس البروفسور راين فرعاً في جامعة ديوك في ولاية كارولينا الشمالية لدراسة القوى النفسية في مختبره وذلك على أثر حلم عجيب ذي تفاصيل دقيقة تحقق بحذافيره، وقد أيدته وساعده في عمله وليم مكدوجال الباحث النفسي المشهور.

وبسبب الاتجاه القوى في الأوساط العلمية للاعتراف بهذه الظاهرة أدلى البروفسور ثولي

أستاذ علم النفس بجامعة كمبردج ببيان جاء فيه:

"إن هذه الظاهرة يجب أن تعتبر حقيقة ثابتة كأية حقيقة أخرى توصل إليها البحث العلمي، فلنترك إذن أمر البرهنة على وجودها في سبيل إقناع المرتابين ولنتوجه بدلاً من ذلك إلى الاستمرار في دراستها" (٣)

حرب الظواهر الخارقة

لم يتوقف الأمر عند حد بيانات الاعتراف التي أصدرها أساتذة علم النفس وغيرهم بصدد علمية هذه الظواهر بل تعداه إلى دخول هذه الظواهر دائرة التوظيف السياسي والعسكري على المستوى العالمي فقد كشفت الأدلة المتاحة مؤخراً أن الدول العظمى تقوم منذ عدة عقود بدراسات مستفيضة فيما أصبح يسمى: "العلوم السرية" التي تهتم بالمفاهيم الخارجة عن نطاق الإدراك الحسي العادي، وقد أفاق العلماء من معارك الاعتراف أو عدم الاعتراف بعلمية هذه الظواهر على مفاجأة مذهلة حين اكتشفوا أن وزارة الدفاع الأمريكية ستخلى عن واجباتها إذا لم تهتم بهذه الأبحاث. وقد صدرت دراسة هامة في هذا المجال أعدها العالمان: راسيل تارغ(٤)، وكيث هارادي وعنوانها "سباق العقل" وهو السباق الذي يتوقع العالمان أن يرث سباق التسلح.

٣ - الغيبات في الفكر الديني - محمد مهدي شمس الدين - مقال منشور بمجلة المعارج - المجلد الأول - العدد التاسع - صفر ١٤١٢ هـ، ص ٦ - ١٣.

٤ - الدكتور تارغ عالم فيزيائي متخصص بأشعة الليزر وعلم البصريات والموجات الكهرومغناطيسية قصيرة المدى وقد قضى عشرة أعوام يقوم بأبحاث مستفيضة في حقل الظواهر الخارقة لحساب وزارة الدفاع الأمريكية وهي تجارب تكلفت ملايين الدولارات.

وقد تعلقت التجارب الرئيسة بما أسماه تارغ "الرؤية النائية" التي يستطيع الأشخاص الذين وهبوا قدرة ذهنية خارقة بموجبها وصف أماكن بعيدة جداً لم يشاهدوها من قبل، فعلى سبيل المثال قام تارغ بتجربة على شخص موهوب موجود في كاليفورنيا، إذ ذهب تارغ إلى مكان بعيد تم اختياره قبل التجربة بدقائق دون علم الموهوب وكانت مهمته أن يصف مكان وجود تارغ من تلك المسافة وقد كتب ما يلي:

"أرى تقعراً إسمنتيّاً يشبه بركة ماء جافة يتوسطها عامود أسمنتي وأرى سرب حمام على يمين المشهد يطير فوق المنخفض الأسمنتي"، وقد صدق فالكان الذي وصفه كان البركة المركزية في حديقة ساحة واشنطن والبركة فارغة ويتوسطها عامود أسمنتي كما كانت محاطة بالحمام أثناء التجربة.

وقد زار تارغ الاتحاد السوفياتي وتحدث باستفاضة مع أعضاء أكاديمية العلوم السوفياتية وهي أعلى سلطة علمية في الاتحاد السوفياتي وذكر أنهم مهتمون جداً وعلى أعلى المستويات بموضوع الظواهر الخارقة وأنهم يقومون بتجارب مكثفة للاستفادة منها في المجال العسكري، وأنهم مهتمون بشكل خاص بحقل "الرؤية النائية" والسيطرة والتحكم الذهني في سلوك الإنسان عن طريق استخدام الظواهر الخارقة.

أما الأمر الخطير والمذهل فقد كشفه العالم رونالد ماكريه أنه تم استخدام الظواهر الخارقة لتقييم خطة كلفت ٤٠ مليار دولار أطلق عليها "لعبة الصدفة" تتعلق بصواريخ إم إكس النووية وتقضي بتخزين هذه الصواريخ في مرابض سرية تحت الأرض بشكل متنقل وذلك لمنع السوفيات من تحديد مواقعها بدقة وبالتالي تدميرها، وقد ذكر العالم ماكريه نقلاً عن مسؤولة كبيرة بالبيت الأبيض تدعى باربارا هونيغد متخصصة في حقل الظواهر الخارقة

أن وزارة الدفاع استخدمت مجموعة ممن يتمتعون بقدرات خارقة ليحاولوا معرفة أماكنها فلما أفلحوا في ذلك ألغيت الخطة بأكملها لأن هذا يعني أن السوفيات سيعرفون أماكن الصواريخ بالطريقة نفسها وبخاصة وأنهم أكثر تقدماً من الأمريكيين في هذا المجال.

وذكر العالم ماكريه أن هذه التجربة حلقة من سلسلة تجارب تجريها وكالة المخابرات المركزية والجيش والبحرية وسلاح الجو المارينز ووكالة الفضاء ناسا ومكافحة المخدرات ومخابرات وزارة الدفاع منذ أكثر من ثلاثين عاماً وتنفق وزارة الدفاع الأمريكية سنوياً ٦ ملايين دولار على هذه التجارب. وقد اعترف الجنرال المتقاعد دانييل جراهام رئيس وكالة المخابرات التابعة للبيتاجون أن أموالاً طائلة أنفقت على هذه الأبحاث وأنها لم تزل مستمرة^(٥).

إنها بالفعل حرب، لكنها حرب مثيرة وشرسة تتصارع فيها العقول على كسر الحواجز وحتى لا نففز على الأحداث نبدأ دراسة هذه الظاهرة في التاريخ أولاً ثم نعرض بعد ذلك لهذه الظاهرة العجيبة في المعامل بعد أن صارت علماً. وبخاصة أن الظاهرة لم يخل منها تاريخ أمة من الأمم القديمة المعرفة في الحضارة على اختلاف الديانات وتباعد الديار وصعوبة الاتصال وتداول المعارف في عصور البشرية الأولى.

^٥ - حرب الظواهر الخارقة - محمد حسن بيرقدار - مجلة العربي - سبتمبر ١٩٨٨ - ص

الفصل الثاني

للتنبؤ تاريخ

عرف المنطقة الإنسان "بأنه حيوان ناطق" ولو دققوا لعرفوه بأنه كائن خائف من المستقبل فقد رحم الله الجماد والحيوان والنبات من عبء المستقبل ورعب المجهول الذي أحاط بالإنسان عشرات القرون وظل حتى هذه اللحظة كابوساً يصعب دفعه ويستحيل تجاهله، فبعد أن بهر الإنسان بالقمر وعبدته وظنه إلها استطاع بالعلم أن يقهره ويصعد إليه وأن يكرر ذلك الصعود كلما شاء وتحطمت أساطير كثيرة كان الإنسان يشعر أمامها بالتضاؤل والعجز وسيطر الإنسان على ظواهر كانت سطوتها على حياته تدفعه إلى عبادة محرکها أو من ظن الإنسان أنه محرکها.

وبين هذه الظواهر جميعاً تظل ظاهرة اختراق حاجز الزمن بالإبحار في المستقبل أو الغوص في الماضي علامة استفهام تستعصي على الإجابة ربما لعجز الإنسان عن الإمساك بالزمن نفسه أو الوصول إلى كنهه لإجراء التجارب عليه، وكما أطلق الإنسان البدائي على الشخص القادر على الخروج من الزمن كاهناً أو عرافاً أو متنبئاً أطلق العلماء على نفس الشخص لقب "ذي قدرات خارقة" للإيهام بأنه مجرد شخص خارج عن القاعدة بصرف الذهن عن الدلالات العلمية لهذا الخروج وعلاقته بنظرة العلم التي يجب أن ينظرها للإنسان.

صفحات من تاريخ الظاهرة

لا يكاد يخلو التاريخ الثقافي والاجتماعي لأمة من الأمم المعركة في القدم إلا وتوجد
بهما صفحات يظهر فيها بجلاء وجود هذه الظاهرة وأثرها. وخلال السطور القادمة نستخير
نماذج تاريخية تجسد هذا الوجود وتحاول تحديد مساحة وجوده.

الصين:

ساد الاعتقاد أيام البشرية الأولى في الصين وغيرها من بلاد العالم بأن الظواهر الطبيعية
والأوضاع البشرية جميعها تحت سيطرة إلهية وقوة خارقة للطبيعة. وساد الاعتقاد بأن في وسع
الأرواح أن تسبغ على البشرية السعادة وأن تتلقى القرابين وأن تندمج في الكائنات البشرية
وادعوا قدرتها على التجسد.

وبعبارة أوضح ربط قدماء الصينيين بين أفعال الروح وتصرفات البشر برباط وثيق
واستحال معه الفصل بين فعل البشر وفعل الروح، وآمن قدماء الصينيين إيماناً راسخاً بوجود
تأثير ممكن متبادل بين الأشياء في الكون والشؤون البشرية، الأمر الذي أوجب عليهم
الاستعانة بكافة ضروب الكهانة، وادعوا القدرة على التنبؤ بالكوارث المقبلة أو الرخاء الآتي.

وتقسم المراجع الصينية فنون الكهانة إلى ستة أقسام أهمها:

١- التنجيم ويعتبر أهمها .

٢- العرافة وتتصل بأوراق نبات العرافة وصدفة السلحفاة، ويقصد بنبات العرافة
"زهرة القنديل" وتمتاز بكثرة أوراقها فكان طالب معرفة حظه يقطع أوراق الزهرة ورقة
ورقة وفي الورقة الأخيرة يتمثل الرد على رغبته، وأما بالنسبة للصدفة فكان العراف يثقب

فيها حفرة، وبتعريضها للحرارة تظهر عدة شروخ يفسرها العراف على أنها إجابة عن سؤاله.

٣- الأحلام^(٦)

اليابان:

كان اليابانيون قديماً يعتقدون أن الاتصال بالآلهة يتم عن طريق إحراق غزال أو سلحفاة وفحص العلامات والخطوط التي تحدثها النار فحسب تستمد فيه المعونة من الخبراء، ولقلة المعلومات بشكل عام عن التاريخ الياباني وبخاصة قديمه المرء يصبح مرغماً على التنقيب عن أية معلومة تاريخية مهما صغرت، ففي المدونات الصينية أنهم كانوا بهذه الطريقة يستوثقون من طيب الحظوظ وخبيثها وعن ملائمة الظروف لقيامهم برحلات برية أو بحرية أو عدم ملائمتها^(٧)

العراق:

كانت الشريعة في مملكتي بابل وآشور تقضى ألا يضم إلى مضاف الكهنة والعرافين الذين يتكلمون عن الغيب إلا من كانت آلة التصويت عنده حسنة التركيب وقوة سمعه قادرة على الإحاطة بإدراك كل صفات الأصوات وحالاتها. وقد تعدد هؤلاء المنجمون وحملوا

^٦ - حكمة الصين - محمد فؤاد شبل - دار المعارف - ص ٣١ - ٣٢.

^٧ - قصة الحضارة - ويل ديورنت - ج ٥ - ترجمة: زكي نجيب محمود ص ١٢.

الشعب على عبادة الأفلاك زاعمين أنها تقوم بمعرفة المستقبل ولهذا أكثر الراصدون لها وأكثروا من التأليف بهذا الصدد وإن لم يصل إلينا منها إلا الخير.^(٨)

اليونان:

رغم أن اليونان كانت مهد الفلسفة وشهرت بالثقافة العقلانية إلا أن التنبؤ بكل أشكاله كان ظاهرة لها وجودها الثقافي والاجتماعي الواضح ودورها الملموس في دفع عجلة السياسة وأحياناً الحرب، وقد سجل ويل ديورنت هذا الدور في موسوعته التاريخية قصة الحضارة بقوله: لقد خيل إلى أهل ذلك الوقت أن حوادث الحياة رهينة بإرادة الشياطين والآلهة، ولم يكن لليونانيين الذين يريدون معرفة هذه الإرادة إلا أن يلجؤوا إلى العرافين والمتنبعين ليستشيروهم في أمرهم، وكان هؤلاء ينبئون بالمستقبل بالنظر في النجوم، وتأويل الأحلام، وبحث أحشاء الحيوان، وزجر الطيور.

وكان العرافون المحترفون يؤجرون أنفسهم للأسر والجيش والدول، ومن ذلك أن نسياس استخدم قبل أن يسير حملته على صقلية طائفة كبيرة من قارئ الغيب. وكان يظهر في البلاد في أوقات مختلفة رجال ونساء يدعون أنهم ممن يوحى إليهم أو ممن كشف الغطاء عن أبصارهم، وكان في أيونيا نساء يسمين "سبييلات" Sybils أي إرادة الله يدعن نبؤات يصدقها ملايين اليونانيين.

ويقال إن واحدة من أولئك السبييلات وتدعى "هرفيلا" طافت ببلاد اليونان ثم استقرت في "كومي" بإيطاليا حيث أصبحت أشهر سبييلات زمانها وعاشت كما تقول

^٨ - أساطير الأولين - ميخائيل جبرائيل - مطبعة المرسلين اليسوعيين - بيروت ١٨٩٤ .

الرواية ألف عام، وكان هناك عدد كبير من المتنبيين والمتنبئات وكانت الحكومة تحتفظ في بهو البلدية الأكبر برجال يحذقون تأويل أقوالهم.

وفي كثير من الهياكل المنتشرة في جميع أنحاء اليونان متنبتون ومتنبئات عموميون ولكن أشهرهم وأجلهم قدراً في الأيام القديمة متنبي "زيوس" في دودونا ومتنبي "أبلو" في دلفي، وكان اليونان والبرابرة يستشيرون هذا المتنبي.

وحتى روما نفسها كانت ترسل الرسل ليعرفوا إرادة الإله أو يوحوا له بهذه الإرادة، وكانوا يظنون أن النساء أكثر استعداداً من الرجال لتلقى الوحي، لذلك كانت ثلاث كاهنات لا تقل سن كل منهن عن نصف قرن يدرين علم معرفة إرادة "أبلو" وهن في غيبوبة. فالكاهنة التي تتلقى الوحي تجلس على نضد عالٍ ذي قوائم ثلاث موضوع فوق فتحة في الأرض تحت الهيكل يخرج منها غاز كريه الرائحة فتستنشق الرائحة الكريهة المقدسة وتمضغ أوراقاً من تاج أوراق الشجر المخدر فتغيب عن وعيها ويتقلص جسمها ثم يتزل عليها الوحي وهي في هذا الوضع فتتطق بألفاظ متقطعة، يترجمها الكهنة للشعب، وكثيراً ما كان الجواب النهائي يحتمل تأويلات مختلفة بل متناقضة وبذلك تكون المتنبيّة صادقة على الدوام.^(٩)

ويصف أرسطو عملية إعداد الكهنة بقوله: "إن الداخلين في الهياكل لم يكونوا ليتعلموا الأسرار ولكن ليوقفوا على رسوم وروايات على مسرح واسع تمثل صوراً وأشباحاً في ليل مدّهم بين الرعد والبرق، ولتلقى الرعب في قلوب الناظرين إليها وتجعلهم

^٩ - قصة الحضارة - ويل ديورنت - ط ١ - مجلد ٢ - ترجمة محمد فؤاد بدران - لجنة

يتذكرون قصاص المذنبين في الآخرة فيرتدعون عن غوايات الدنيا، وكان هاتف الغيب يذكرهم بالعناية الإلهية ويكشف لهم مستقبلات الغيب وكان ذلك مشهوراً في أماكن عديدة". (١٠)

ففي معبد دلفي كان الكهنة يجلسون امرأة على تل في جبل البرناس يتصاعد منه بخار مهلك فيراها الناظر تارة حمراء وتارة صفراء تصرخ وتتنهد وكل أعضائها ترتجف، ويمنعها الكهنة من القيام حتى تنطق ببعض الكلمات فيوردها الكهنة لطالب النبوءة حسب ما يعين لهم وما يرونه موافقاً لمقتضى الحال. (١١)

على أن هذا الغموض الذي تتسم به عبارات المتنبئين والذي لفت نظر المؤرخين قديماً وحديثاً كان شكلاً مكشوفاً من أشكال التمويه لا يخدع الكثيرين كما لم يكن سمة كل المتنبئين، فيروى هيرودوت في تاريخه أن أحد ملوك الإغريق ويدعى كريسيوس كان مقدماً على حرب فارس، ولما كان من عادة الملوك في هذا العصر استشارة الكهان والمتنبئين في كل أمر هام فقد قرر أن يختبر المتنبئين قبل استشارتهم ليعرف أقدرهم على معرفة المستقبل فأرسل إلى كل هيكل من هياكل التنبؤ الموجودة في عصره رسولاً وطلب من رسله أن يطلبوا من المنجمين تحديد ما كان يفعله الملك على وجه الدقة في اليوم المائة لمغادرتهم مدينته حتى لا يكون أمام الرسل فرصة — إن أرادوا — لتلفيق إجابة أو لإفشاء سر الملك.

١٠ - أساطير الأولين - ص ٢٤٨.

١١ - السابق - ص ٢٤٨.

وأرسل كريسيوس سؤاله إلى معابد دلفي وايلون في ميليسيا وجوييتير في ليبيا وغيرها من الهياكل وطلب أن تكون النبوءات مكتوبة لا أن تنقل شفاهاً، وفي اليوم المحدد أتى بسلحفاة وخروف فقطعهما إرباً وطبخهما في قدر من نحاس مغطى بغطاء من نحاس. وعندما عاد رسله بالأجوبة وجدها جميعاً تحوي عبارات غامضة تحتل وجوها عديدة عدا نبوءة كاهنة دلفي التي كتبت:

"أنا أعرف عدد الرمل وحدود البحر وأفهم لغة الخرس وصوت البكم، وقت شمت رائحة سلحفاة تشوى مع لحم خروف في إناء من نحاس مغطى بغطاء من نحاس" (١٢)

وقد اعتبر اليونان الأحلام شكلاً من أشكال التنبؤ، وخلطت في معابد خاصة بوسائل أخرى للتنبؤ وما قد تعطيه من وحي يغير الطريق أمام الإنسان، وكان المرضى والمعاقون يتجمعون في أماكن "مقدسة" خاصة ليناموا ويحلموا تحت إشراف الكهنة بعد عمل صلوات خاصة وتقديم قرايين ثم ينامون في انتظار حلم تزورهم الآلة فيه فتمنحهم الشفاء. ويذكر هيرودوت أن اليونان وبلاد الإغريق كانت تحتوى في وقت من الأوقات على حوالي ٦٠٠ معبد مخصص للأحلام وتلتمس الشفاء عن طريقها. (١٣)

١٢ - تاريخ هيرودوت - ترجمة حبيب بسترس عن الفرنسية - نشر مطبعة القديس جاورجيوس - بيروت - ١٨٨٦ ص ٣٢ - ٣٣ - ج ١.

١٣ - العلم وتفسير الأحلام - دكتور عبد الرحمن نور الدين - ص ١٢.

إيطاليا:

كان الرومان يعتقدون أن الأيام الفردية الأسماء محظوظة والزوجية الأسماء منحوسة، وأن الحوادث الغريبة تنبئ عن المستقبل، ويحتوي "تاريخ ليفي" على عدة مئات من أمثال هذه الأنباء يسجلها كلها بوقار فلسفي، وفي مجلدات بلني الأكبر من التنبؤات ووسائل العلاج السحري ما يصح لنا معه أن نسمى تاريخه "تاريخ خوارق الطبيعة". وكثيراً ما كان يحدث أن تؤجل أهم الأعمال التجارية أو الحكومية أو الحربية أو تلغى إلغاء تاماً إذا تشاءم الكاهن بأن وجد شيئاً غير مألوف في أمعاء ذبيحة، أو سمع رعداً وقصفاً في السماء^(١٤).

وقد استخدمت إيطاليا نظاماً كهنوياً محكم الوضع لتضمن به معونة الأرباب، وكانت الصلوات العامة يرأسها جماعة من الكهنة يرأسهم حبر أعظم تختاره الجمعية المثوية، وكانت الكلية الدينية الكبرى في القرن الثالث قبل الميلاد تضم تسعة من الأعضاء وكانوا يحتفظون بالحوليات التاريخية ويسجلون القوانين ويقرؤون الغيب، وكانت أعظم طوائف الكهنة نفوذاً طائفة العرافين التسعة الذين كانوا يدرسون إرادة الآلهة ومقصدتهم باتجاه الطيور، وبالفحص عن أحشاء الحيوانات المضحاة.

وكان كبار الحكام يستطلعون الطالع قبل كل عمل هام من أعمال السياسية أو الحكم أو الحرب ثم يفسر العرافون ما يجده الحكام أو يفسره لهم مفتشو الأكباد الذين تلقوا فنهم

^{١٤} - قصة الحضارة - ويل ديورنت - ج ١ - مجلد ٣ - ترجمة محمد بدران - ص

هذا من أمم الكلدان أو من أمم قبلهم، ولم يكن الكهنة على الدوام بمنجاة من الإغراء بالمال ولذلك كانوا يوفقون بين أقوالهم وبين حاجات من يذهب لاستشارتهم^(١٥).

من ذلك أن أي قانون لا يتفق مع مصلحة طائفة أو جماعة من الناس كان بالإمكان تعطيله إذا قيل إن اليوم الذي ينظر فيه القانون يوم مشؤوم لا يصلح العمل فيه، وكان في الاستطاعة إقناع الجمعية بالموافقة على إعلان الحرب إذا قيل لها إن اليوم الذي يطلب إليها إعلانها فيه هو يوم سعيد.

وكانت الحكومات في الأزمات الخطيرة تدعى أنها تعرف ما تريده الآلهة بالرجوع إلى: "الكتب السيبيلية" Sybyline وهى الكتب التي سجلت فيها نبوءات كاهنة "أبلون" في كوميه وكان في وسع الأعيان أن يؤثروا في الشعب بهذه الوسائل وبالرسل الذين كانوا يرسلونهم إلى هاتف دلفي في بعض الأحيان مما يتيح لهم توجيه الشعب كما يريدون^(١٦).

ولم تكن العلاقة بين المتنبيين والحكام في إيطاليا - وبخاصة مع مجلس الشيوخ - تسير على وتيرة واحدة وإنما كانت تتأرجح حسناً وسوءاً وقوة وضعفاً، فمثلاً يروي شيشرون أن مجلس الشيوخ الروماني قرر إفقاد ستة - وقيل عشرة - من أبناء البارزين من الرومان إلى كل قبيلة من قبائل اتروريا لدراسة أساليب التكهن مخافة أن تضمحل وتتحول إلى أداة للانتحار والارتزاق^(١٧).

^{١٥} - المرجع السابق - ج ١ - مجلد ٣ - ص ١٣٠ - ١٣٢.

^{١٦} - قصة الحضارة - ج ١ - مجلد ٣ - ص ١٣٠ - ١٣٢.

^{١٧} - النبؤ بالغيب عند مفكرى الإسلام - الدكتور توفيق الطويل - ص ١٦٦ .

بينما يروي بوشيه لوكليرك أن مجلس الشيوخ الروماني نفسه كان كثيراً ما يضيق بكثرة الشرقيين من الكهان في روما وإيطاليا كلها وقد تقرر في عام ١٣٩ قبل الميلاد طرد الكلدانيين من روما في ظرف عشرة أيام^(١٨). وقد أرجع بعض الباحثين ومنهم بوشيه لوكليرك - انتشار فنون التكهن وبخاصة علم التنجيم في دول البحر الأبيض المتوسط إلى الكاهن الكلداني بيروس، لكن الثابت أن الرومان عرفوا معرفة المستقبل كسر من أسرار ديانتهم، وكانوا يعتنون بعلم الفلك ويعتقدون بطيران الطيور والولائم المقدسة ولها علم مخصوص يعرف به ما يكون خيراً و شراً.

وقد اعتقد الرومان في الوحي على النحو التالي:

"من يريد معرفة المستقبل فيلزمه أن يبدأ بالاغتسال والصوم ويسأل بغيته فيجاب عليها إبان رقوده على جلود الضحايا المقدمة منه".^(١٩)

مصر:

توجد بين آثار الفراعنة أدلة قاطعة على معرفتهم الواسعة بأشكال التنبؤ المختلفة، فهناك بردية محفوظة في متحف لينغراد اكتشفها الأستاذ جولنشييف وتسجل نبوءة كاهن يسمى "نفرروهو" ويرجع تاريخها إلى عهد الملك سنفرو^(٢٠).

^{١٨} - التنبؤ بالغيب عند مفكرى الإسلام - دكتور توفيق الطويل - ص ١٦٧.

^{١٩} - أساطير الأولين - ص ٣٤٥ - ٣٤٦

^{٢٠} - مصر القديمة - سليم حسن - ج ٣ .

ولوحة من الجرانيت محفوظة بالمتحف المصري مقاسها ١٣٢ × ٧٥ سم وترجع إلى آخر العصر الكوشي وتسمى لوحة الحلم^(٢١).

وبردية تسمى بردية "شستريتي" نسبة إلى مكتشفها وقد كتبت في عهد الأسرة الثانية عشرة من ١٩٩٠ - ١٧٨٦ قبل الميلاد وبها تفسيرات للأحلام وتعتبر أول محاولة لتفسير الأحلام في التاريخ^(٢٢)، وكذلك لوحة بين أقدام أبي الهول تسجل حلمًا رآه الملك تحتمس وهو ما يزال أميراً^(٢٣).

وقد كان الفراعنة ينصبون الكهنة لينهضوا بخدمات بيت الإله والعناية بالحيوانات المقدسة وإقامة الأعياد والمواكب، هذا إلى أنهم كانوا يعرفون فن تخمين ما يريد الإله وينتزعون منه بوساطة "الوحي" نبوءات عن المستقبل وأحكاما فاصلة في قضايا وحقائق تتعلق بالمخاصمات^(٢٤).

وتحدث هيردوت عن وجود فن التنجيم في مصر القديمة في تاريخه قائلاً:

"ومن جملة الأشياء التي ابتدعها المصريون أنهم كانوا يخبرون الإنسان بما يجري عليه في حياته بمجرد معرفة مولده"^(٢٥).

^{٢١} - مصر القديمة - سليم حسن - ج ١١ - ص ٢٧٠.

^{٢٢} - العلم وتفسير الأحلام - ص ١٠.

^{٢٣} - السابق - ص ٢٠.

^{٢٤} - مصر القديمة سليم حسن ج ١ - ص ٢٣٦ - دار الكتب المصرية.

^{٢٥} - تاريخ هيردوت ج ١ ص ١٤٥.

وكان في عين شمس كاهن خاص لمراقبة سير الشمس يسمى "الرائي الأعظم" وفي المعابد جماعات من الكهنة لمراقبة سير النجوم^(٢٦).

وقد لاحظ الفلكيون المصريون القدماء طيلة مئات السنين التي سجلوا فيها الأحداث الفلكية أن كسوف الشمس وخسوف القمر يتبعان دورة تستغرق ١٨ سنة و ١١ يوماً تقريباً لكي تكتمل، وقد احتفظ الكهنة المصريون بأسرار هذه الدورة التي تسمى "الساوس" مع سائر المعارف الفلكية العملية الأخرى. ومنحتهم هذه المعرفة بالأسرار قوى مدهشة ظاهرياً على التنبؤ، بل على التحكم الظاهري في السموات إذ كان بوسعهم أن يتنبؤوا بأن الإله الشمس سوف يحتجب نتيجة للمعاصي التي يرتكبها الشعب، فإذا ما حدث الكسوف أمكن للكهنة أن يبشروا باستعادة الشمس وفق شروطهم الخاصة^(٢٧).

ومثل هذا السلوك يشبه ما يحدث في القصص الخيالية حيث يستغل أهل المعرفة حالات الكسوف لإرباك الشعوب البدائية، ومن المؤكد أن مبادئ الصفوة من الكهنة الذين يحيطون علماً بالأسرار الفلكية قد ساعدت على ترسيخ الاعتقاد في علم التنجيم^(٢٨).

وقد بلغ علم المصريين بفنون التنبؤ حداً من الرسوخ جعل الأمم المجاورة في حوض المتوسط تتأثر بهم وتنقل عنهم فمثلاً يروى هيرودت أن الفينيقيين اختطفوا امرأتين من مصر

^{٢٦} - موسوعة تاريخ مصر - أحمد حسين - دار الشعب - ص ١٦٤ .

^{٢٧} - فكرة الزمان عبر التاريخ - ص ٨٢ - ٨٣ .

^{٢٨} - فكرة الزمان عبر التاريخ - ص ١٨٣ .

تعملان بالكهانة حملت إحداهما إلى ليبيا والأخرى إلى بلاد الإغريق ومنهما عرف الإغريق الكهانة، ثم يقول:

"وفن العرافة أي الإخبار بالمستقبل كما هو جار في الهياكل أتى إلينا من مصر".^(٢٩)

ويصرح الأستاذ بوشيه لوكليرك بأن اليونان استعاروا الكثير من معلوماتهم في موضوع الأحلام عن مصر وغيرهم من بلاد المشرق القديم، وإذا كان الثابت أن المسلمين قد استعاروا بعض وجهات نظرهم في تأويل الأحلام من كتاب أرتيميدس فإن أ. هـ. سايس يصرح بأن أرتيميدس استقى مادة كتابه عن البابليين.^(٣٠)

وهكذا تداول الأقدمون - وبخاصة في حوض البحر المتوسط - المعارف حول التنبؤ بكل فنونه في دورات متعاقبة من بابل إلى اليونان ومصر، ومن مصر إلى بلاد اليونان ومن بلاد اليونان إلى العالم العربي لتصبح خلاصة هذا الفن خليطاً من ثقافات متعددة عبر الزمان والمكان.

التنبؤ عند العرب:

يؤرخ الأستاذ جورجى زيدان لوجود هذه الظاهرة في التاريخ العربي تحت عنوان:

"العرافة والكهانة" فيقول:

^{٢٩} - تاريخ هيرودوت - ج ١ - ص ١٣٤ - ١٣٥ .

^{٣٠} - التنبؤ بالغيب - ص ١٦٧ .

كان العرب يعتقدون في الكاهن القدرة على كل شيء فكانوا يستشيرونه في حوائجهم ويتقاضون إليه في خصوماتهم ويستطبونه في أمراضهم ويستفتونه فيما أشكل عليهم ويستفسرون منه رؤاهم ويستنبئون عنه مستقبلهم.

وبالجملة فالكهان عندهم هم أهل المعرفة والفلسفة والطب والقضاء والدين شأن تلك الطبقة من البشر عند سائر الأمم القديمة في بابل وفينيقية ومصر وغيرها.

والكهانة من العلوم الدخيلة على العرب جاءتهم من بعض الأمم المجاورة لهم والغالب في اعتقادنا أن الكلدان حملوها إليهم مع علم النجوم، ويؤيد ذلك أن الكاهن يسمى في العربية "حازي" أو "حزاء" وهو لفظ كلداني يعني الناظر أو الرائي أو البصير، وهو يدل عندهم على الحكيم والنبى.

أما لفظ "الكاهن" فقد اقتبسه العرب بعدئذ من اليهود الذين نزحوا إليهم على إثر ما أصابهم من النكبات في أورشليم (بيت المقدس) وخصوصاً بعد خرابها على يد الإمبراطور طيطس سنة ٧٠ م.

وكان العرب يعتقدون في الكهنة العلم بكل شيء وأن ذلك يأتيهم بواسطة الأرواح، فمن كان منهم يعتقد التوحيد نسب ذلك إلى استطلاع الغيب عن أفواه الملائكة، وإذا كان من عبدة الأصنام اعتقد حلول الأرواح في الأصنام وبوحها بأسرار الطبيعة للكهان والسدنة فيقول العرب إن الأصنام تدخلها الجن (أي الأرواح) تخاطب الكهان، وأن الكاهن يأتيه الجنة بخبر السماء وربما عبروا عنه بالهاتف ومن أقوالهم: "الأخبار من اليهود، والرهبان من النصارى والكهان من العرب".

فكل ما يصنعه الكاهن إنما مصدره الغيب، فإذا استطبّه مريض عالجّه بالرقى، وإذا استشير في معضلة خط الرمل أو نفث في العقد. (٣١)

وإذا حكمه متخاصمان رمى لهما بالقداح، وإذا استطلع عن سرقة أخذ قمقمه بين يديه ونفث فيها، ونحو ذلك. (٣٢)

وجاء الاسلام:

كان موقف الإسلام من الكهانة وأشباهاها موقفاً حاداً واضحاً بدا في أحاديث صحيحة رواها أئمة الحديث منها:

قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

"ليس منا من تطير أو تطير له سحر أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد" (٣٣)

وقد فصل ابن حجر موقف الإسلام من هذه الظاهرة فقال:

٣١ - النفث هو النفخ دون خروج ريق، أما العقد فأصله أن الساحر يأخذ خيطاً ويعقد عليه عقدة بعد عقدة وينفث فيها.

٣٢ - تاريخ التمدن الإسلامي - جورجى زيدان - ج ٣ - ص ١٩ - ٢٠ بتصرف يسير - نشر دار الهلال .

٣٣ - الترغيب والترهيب ج ٤ - ص ٥٢ - رواه المنذري وقال إسناده جيد.

الكهانة (بفتح الكاف ويجوز كسرهما) ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع استناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن، والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب بالحصى والمنجم.

وفي "المحكم": الكاهن القاضي بالغيب، وقال الخطابي:

"الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه وكانت الكهانة فاشية خصوصا في العرب لانقطاع النبوة فيهم".

وقد كانت مواجهة الإسلام لظاهرة التنبؤ متناسبة مع وجودها السرطاني في الجزيرة العربية فقد اشتهر في بلاد العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن أقدمهم "شق وسطيح" وحكايتهما أشبه بالخرافات منها بالحقائق، فعندهم أن الأول كان شق إنسان (أي نصف إنسان) بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وأن سطيح كان لحما يطوى كما يطوى الثوب، لا عظم فيه غير الجمجمة ووجهه في صدره. (٣٤)

ويزعمون أن هذين الكاهنين عاشا بضعة قرون إلى غير ذلك من الأوهام، ومن الكهان الذين نبغوا في النهضة العربية قبل الإسلام ضافر بن التوأم الحميري، وسواد بن قارب الدوسي وفيهم من يعرفون بما ينسبون إليه من القبائل كقولهم كاهن قريش، وكاهن اليمن، وغيرهما.

٣٤ - أوردت قصة حياة هذين المتنبئين في كتابي: "أشهر الأحلام في التاريخ" بالتفصيل -

ومن الكواهن النساء طريفة الخير كاهنة اليمن وهى أقدمهم وإليها ينسبون الإنذار
بخراب سد مأرب وإتيان سيل العرم، وزيداء بين الشحر وحضرموت، وسلمى الهمدانية
الحميرية وعفراء الحميرية وفاطمة الخثعمية وزرقاء اليمامة وغيرهن ممن ينسبن إلى البلاد
والقبائل. (٣٥)

وكان الإسلام حاسماً في تفويض نفوذ هذا الأخطبوط الذي كانت له عشرات الأذرع
في كل أنحاء الجزيرة العربية وبدا حسمه واضحاً في إزالة الغموض الذي أحاط بعملية التنبؤ
وتقديم تفسير لأتباعه يدركون به حقيقة هذه القدرة وربما لهذا السبب بالذات تبدو هذه
الظاهرة حقلاً من الألغام لا يسهل السير فيه. ورغم ذلك فإن الفضول البشرى لم يجعل أمة
من الأمم لا تعرف هذه الظاهرة خاصة في ماهيتها.

٣٥ - تاريخ التمدن الإسلامى - ج ٣ - ص ٢١ مرجع سابق.

الفصل الثالث
في ظل الاسلام

اصطفى الله سبحانه وتعالى من البشر أشخاصاً فضلهم بخطابه وفطرتهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يليقهم إليهم من المعارف وما يظهره على ألسنتهم من الخوارق والأخبار والكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياها لهم.

وقد كان من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم إخباره عن مغيبات ماضية وقادمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكون بشارة للمؤمنين وتثبيتاً أو إنذاراً للكافرين وتحدياً لكل شاكٍ أو مشككٍ في مصدر الوحي.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: "ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله" (٣٦)

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلاً يدعى قطمة بجيش من الروم وبعث كسرى بشمر يزار فغلبتهم حتى اضطهر هرقل إلى اللجوء للقسطنطينية وحوصر فيها، ففرحت بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون.

ولقي المشركون أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله تعالى: "ألم غلبت الروم".

وفي سورة الفتح يقول تعالى:

"لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لندخلهم المسجد الحرام إن شاء الله آمينين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً".

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية:

"كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تنفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عنهم على أن يعودوا من قابل، وقع في نفس بعض الصحابة من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بلى، أفأخبرت أنك تأتيه عامك هذا؟ قال: لا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: فإنك آتية ومطوف به". (٣٧)

وهكذا يربط القرآن بين عالم الغيب والشهادة لينتقل بالإنسان إلى ارتقاء حواجز الزمان والمكان فيعقد بينها وبين الإنسان الطامح وجهاً من وجوه الصلة المفتوحة بين الماضي والحاضر والمستقبل في صورة يتكامل في أحداثها وشخصها المبدأ والمنتهى على عقيدة

التوحيد، فقد أحاط به النص القرآني من جميع أطرافه فجعله علامة على إعجازه حيث لم يدع أحد قبله ولن يدعى أحد بعده قدرته على اختراق حواجز الغيب.

ويكفي أن تقرأ في القرآن: "وما كنت".."وما كنت" لتعرف كم أخبر الله رسوله بأنباء من غيب الماضي "وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم" إلى أن يكشف أدق أسرار الرسالات السماوية ويصحح للناس ما أخطؤوا فيه.

ويكفي أن تقرأ في القرآن تحديه للمشركين بفضح ما يدور في خلدهم وإعلان ما يضمرون ويمكرون فيهددهم مرة بعد أخرى بإظهار ما يعتمل في نفوسهم من سوء النوايا والتناجي بالإثم والعدوان:

"ألم تر إلى الذين هموا عن النجوى ثم يعودون لما هموا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاؤوك حيوك بما يحبك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير".

فبهت الذين كفروا لأن الله أخرج ما في صدورهم وعراهم أمام الناس جميعاً. ثم بعد ذلك يكفي أن تقرأ في القرآن حديثه عن المستقبل القريب منه والبعيد لتدرك عن يقين من الإيمان الراسخ أن هذا الحديث لا يصدر إلا عن القادر علام الغيوب.^(٣٨)

الرؤيا والرؤية:

يسجل القرآن الكريم شكلاً فريداً من أشكال الإعجاز كان منحة من الله للمسلمين تثبتهم وتشد أزهرهم في مواجهة الكفار، ففي سورة الأنفال وفي موضع من مواضع الحديث عن غزوة بدر يقول تعالى:

"إذ يريكم الله في منامك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً" (٣٩)

ويقول ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين:

"أراهم الله إياهم في منامه قليلاً وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بذلك فكان تثبتاً لهم، وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه رآهم بعينه وقوله "لو أراكم كثيراً لفشلتم" أي لجبنتم، وهذا من لطف الله تعالى بهم إذ أراهم إياهم قليلاً في رأي العين فيجربهم عليهم ويطمعهم فيهم، وعن ابن مسعود أنه قال: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟

قال: لا بل مائة".

حتى أخذنا رجلاً منهم (وفي رواية رجلين) فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

كم القوم؟

كم القوم؟

قالا: كثير.

قال: ما عدتكم؟

قالا: لا ندري.

قال: كم ينحرون كل يوم؟

قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: القوم ما بين التسعمائة والألف.

ويكمل ابن كثير تفسيره للآيتين فيقول:

حض بعضهم على بعض ليلقى بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه، ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلاً من الفريقين بالآخرة فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين وبقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيهم^(٤٠). كما قال تعالى: "قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين"

مع سيرة الرسول:

فإذا قرأنا سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما دونها ابن هشام صادفنا غير مرة

عنوان جانبي على شاكلة:

"الرسول يتنبأ بموت كسرى"

"الرسول يتنبأ بما حدث مع الروم"

^{٤٠} - تفسير ابن كثير ٢ / ٣١٤ - ٣١٥ - دار إحياء الكتب العربية .

وهكذا.

من أمارات نبوته إمداد الله له بما يشاء أن يعلمه من غيب الماضي والمستقبل والزمان والمكان، ومن هذه المواقف:

- عن الزهري أنه قال: كتب كسرى إلى باذان آخر ملوك الفرس في اليمن: أنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستتبّه، فإن تاب وإلا فابعث إلى برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكتب إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا" (٤١).

فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال:

"إن كان نبياً فسيكون ما قال"

فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (٤٢)

- وقبل غزوة أحد قال صلى الله عليه وآله وسلم حين علم بخروج قريش ونزولها حيث نزلت: "إني قد رأيت والله خيراً، رأيت بقرأً لي تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة، وفي رواية أخرى أنه أول البقر

٤١ - كان مقتل كسرى ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة تسع من الهجرة وأسلم باذان سنة عشر للهجرة.

٤٢ - سيرة ابن هشام - طبعة التوفيقية - مصر - ج ١ - ص ٧٠ - ٧١.

الذي رآه يذبح قتل ناس من أصحابه وأول الثلم الذي رآه في ذباب سيف رجلاً من أهل بيته يقتل.^(٤٣)

- في غزوة بني المصطلق وعند عودة الجيش سلك رسول الله بالناس الحجاز فمروا على ماء بالنقيع يقال له: بقعاء، فهبت عليهم ريح شديدة آذتهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت أحد بني قينقاع وكان عظيماً من عظماء اليهود مات في ذلك اليوم".^(٤٤)

- كانت غزوة مؤتة واحدة من أشد الغزوات عنفاً وأحفلها ببطولات الصحابة فقد حمل الراية فيها زيد بن حارثة فاستشهد، فحملها جعفر فاستشهد، فحملها عبد الله بن رواحة ولكنه تردد قليلاً، ثم اقتحم الصفوف واستشهد، ويروى ابن اسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أصيب القوم في هذه الغزوة قال:

"أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه كان في عبد الله بن رواحة ما يكرهون، ثم قال: ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً".

^{٤٣} - ابن هشام - ص ٥ ج ٣ .

^{٤٤} - السابق ج ٣ - ص ١٩٤ - ١٩٥ .

ثم قال: "لقد رفعوا إلى في الجنة فيما يرى النائم على سرر ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً من سريري صاحبيه فقلت عم هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى".

من التاريخ الاسلامي:

كلنا يعرف قصة غزوة بدر بلا شك غير أن جانباً من جوانبها لم يشتهر رغم ما في أحداثه من طرافة وما يوحى به من دلالات، فيروى ابن هشام في سيرته أن عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم بن عمرو الغفاري (وهو الرجل الذي استأجره أبو سفيان ليخبر قريشاً باعتراض الرسول لقافلتهم) رأت قبل قدومه بثلاث ليال رؤيا أفزعته، فبعثت إلى العباس بن عبد المطلب فقالت له:

"يا أخي والله لقد رأيت رؤيا أفظعتني وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتب ما أحدثك به.

♦ فقال لها: وما رأيت؟

قالت : رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا لغدر مصارعكم في ثلاث، فأوى الناس فاجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد

والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به^(٤٥) بعيره على ظهر الكعبة، فصرخ بمثلها: ألا انفروا يا لغدر مصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس. ^(٤٦)

فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تموي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت^(٤٧) فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة.

قال العباس: والله إنما لرؤيا، وأنت فاكتميتها ولا تذكرها لأحد.

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقاً فذكرها له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رأي أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل علينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم: فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبوة؟

قال: قلت: وما ذاك؟

قال: تلك الرؤيا التي رأيت عاتكة.

^{٤٥} - مثل به أي قام به.

^{٤٦} - جبل بمكة.

^{٤٧} - ارفضت أي تفتت.

قال: قلت وما رأيت؟

قال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم؟ قد زعمت عاتكة أنه قال: انفروا في ثلاث فستربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، إن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب".^(٤٨)

ثم يكمل العباس بقية القصة فيقول:

"غدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة فدخلت المسجد فرأيت، فإذا به خرج من باب المسجد يشتد، فقلت لعنه الله، أكل هذا خوفاً من أن أشاقه، وإذا هو قد سمع ما لم أسمع: صوت ضمضم الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره: الغوث.. الغوث، فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر".^(٤٩)

وخرجت قريش لحرب المسلمين وفيهم بنو عبد المطلب وفي الطريق نزلوا الجحفة فرأى جهيم ابن الصلت وهو من بني عبد المطلب رؤيا يرويها ابن هشام في سيرته يقول:

"إنني رأيت فيما يرى النائم وإني لبين النائم واليقظان إذا نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام، وأمّية بن خلف وفلان وفلان، فعدد رجالاً ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش،

^{٤٨} - ابن هشام ٢ / ١٨١ - ١٨٢ .

^{٤٩} - السابق ص ١٨٢ ج ٢

ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه.

قال: فبلغت أبا جهل، فقال: وهذا أيضا نبي من بني عبد المطلب، سيعلم غداً من المقتول منا إن نحن التقينا".^(٥٠)

والتقى الجمعان وصدقت النبوءتان.

كاهنة تنقذ قبيلة:

عندما خرج جيش المسلمين في غزوة مؤتة كان في طريقها إلى ثغور الروم قبيلة تسمى لحم ومن بين بطون هذه القبيلة كان هناك بطن يسمى حدس وفيه كاهنة أنذرت قومها من جيش قادم فقالت لهم: "أنذركم قوماً خزراً، ينظرون شزراً"^(٥١) ويقودون الخيل تترى ويهرقون الدم عكراً". فأخذوا بقولها واعتزلوا من بين لحم فلم تنزل بعد أثرى (أغنى) بطون القبيلة، وكان الذين صلوا الحرب يومئذ البطون التي بقيت في موضعها فلم يزلوا قليلاً بعد. فلما انصرفت الجيوش عادت حدس إلى مضاربها^(٥٢).

^{٥٠} - السابق ص ١٩١ ج ٢ .

^{٥١} - الخزر: من يضيقون عيونهم وينظرون، والشزر: نظرة العداء.

^{٥٢} - ابن هشام ٣ / ٢٦٥، ٢٦٦ .

الفصل الرابع

للتنبؤ أشكال (الكهانة والعرافة)

التفرقة بين مدلول الكهانة والعرافة شاق جداً ربما بسبب اقتراب كل منهما من الآخر بدرجة شديدة جعلت بعض المتخصصين لا يفرقون بينهما، فبينما يرى البعض قصر إحداهما على الماضي دون المستقبل وتخصيص الأخرى للآخر يرى البعض الآخر العكس. ويقرر جورج زيدان هذه الحقيقة بقوله: هما لفظان لمعنى واحد فرق بعضهم بينهما فقال إن الكهانة مختصة بالأمر المستقبلية والعرافة بالأمر الماضية، وعلى كل حال فالمراد بهما التنبؤ واستطلاع الغيب.^(٥٣)

ويفصل الأستاذ الدكتور توفيق الطويل رحمه الله الأمر فيقول: تطلق الكهانة على كثير من ضروب التنبؤ بالغيب لأنها تشمل الناظرين في الأجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها، وأهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى وأهل الزجر والفأل، والمنبئين عن الغيب باستنباء الطيور والسباع وأهل الرياضة السحرية وأصحاب الفراسة ونحوهم، ولكن جمهرة مؤرخيها يحدونها بأنها الأرواح البشرية مع الأرواح المجردة من

^{٥٣} - تاريخ التمدن الإسلامي ج ٣ - ص ٢١ - مرجع سابق.

جن وشياطين واتخاذهم أداة لمعرفة ما يتصل بالمستقبل من الأحوال الجزئية الحادثة في عالم الكون والفساد.^{٥٤})

وبعض المؤرخين لا يقصرها على معرفة المستقبل وحده ويرى أنها تكشف عن مجاهل الغيب ما اتصل منه بالماضي والحاضر والمستقبل، ولكن اشتمال الكهانة على ما سبق يبرر الظن بأنها تتضمن الكشف عن الماضي والحاضر والمستقبل، فالعرافة نفسها تعتبر عند بعض المؤرخين من فروع الكهانة.

وكما أن أهل الفن ليسوا على اتفاق ليسوا على اتفاق في هذا الصدد فكذلك الحال في أهل اللغة:

- ففي اللسان: الكاهن من يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان.
- وفي التاج: تكهن أي قضى بالغيب، ولم يحدد لذلك زماناً، ولكنه يعود في تفرقة الكهانة من العرافة فيقول: إن العراف من يخبر بالأحوال المستقبلية والكاهن من يخبر بالأحوال الماضية.
- وقيل إن الكاهن لا يستعين في صناعته بآلة ولا بإظهار حساب ولا ينظر في كتاب بل بجودة الحفظ وذكاء النفس وصحة العقل وحسن التمييز وحدة الخاطر، مع مساعدة ما

^{٥٤} - التنبؤ بالغيب عند مفكرى الإسلام - د/ توفيق الطويل - دار إحياء الكتب العربية -

اتفق له في مولده الذي أوجب له ذلك وهى قوة إلهية تتوفر في الناس بسهام سماوية وأسباب
فلكية وأقسام علوية ويرثها بعض الناس فردا عن فرد.^(٥٥)

لكن بعض المؤرخين قسمها إلى قسمين خص أحدهما بالتوارث وجعل الكهانة منه هذا
النوع ويزعم صاحبه أن له "رئياً" من الجن يلقي إليه الأخبار، أما القسم الثاني فهو ما كان
بالعزائم ودعوة الكواكب.

وقد رد اليونان والرومان الكهانة إلى ثلاثة مصادر:

١- استراق السمع.

٢- "الوحي الفلكي" ذلك أن للكواكب أثر على طبائع الناس.

٣- قوة النفس وقهرها للطبيعة^(٥٦)

ولابن خلدون محاولة لتفسير الكهانة تتسم بالربط بين النصوص الدينية والحقائق
العملية في مجال على النفس - مع مراعاة فارق الزمن بالطبع - يقول ابن خلدون:

الكهانة من خواص النفس الإنسانية ذلك أن لها استعداداً للانسلاخ من البشرية إلى
الروحانية وهذا الاستعداد موجود في الأنبياء بما فطروا عليه بغير اكتساب ولا استعانة بشيء
من المدارك ولا التصورات ولا الأفعال، وهناك صنف آخر من البشر مفطور على أن تتحرك
قواه العقلية بالإرادة عندما يبعثها النزاع لذلك، وهى تتشبث بأمور جزئية محسوسة أو متخيلة

^{٥٥} - التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام - الدكتور توفيق الطويل - دار إحياء العربية سنة

١٩٦٥ - ص ٩٣ - ١٠١.

^{٥٦} - المرجع السابق - الصفحة نفسها.

كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجع الكلام وما سنح من طير أو حيوان، وذلك بالاستعانة به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده، وهذه القوة التي هي مبدأ لتلك الإدارة هي الكهانة^(٥٧).

ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور فإن الكهان لا يستطيعون الوصول إلى الكمال في إدراكه للغيبيات فوحيه من وحي الشيطان.^(٥٨)

وقد رجم بعض الناس بالشهب بين يدي البعثة، وأن ذلك كان لمنعهم من خبر السماء، والكهان إنما يتعرفون إخبار السماء من الشياطين فطلعت الكهانة من يومئذ ولا تقوم من ذلك دليل لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضاً، والآية إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك، وأيضاً فإن هذا الانقطاع كان بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت بعد إلى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر، لأن هذه المدارك تخمد في زمن النبوة كما الكواكب عند وجود الشمس لأن النبوة هي النور الأعظم.^(٥٩)

^{٥٧} - مقدمة ابن خلدون - ص ٩٩ - ١٠٠ - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

^{٥٨} - مقدمة ابن خلدون - ص ١٠٠.

^{٥٩} - السابق - ص ١٠١ .

وهكذا نجد في النوع الإنساني أشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس، ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة ولا غيرها وإنما يدركون ذلك بفطرتهم (٦٠).

درجات الكهان:

يعتبر ابن خلدون أرفع درجات الكهانة ما كان بلا نظر في شيء ولا معاناة، وأخبر الكاهن فيه عن علمه في لغة مسجوعة ثم يقول:

"فأما الناظرون في الأجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها وأهل الطرق بالخصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان إلا أنهم أضعف رتبة فيه في أصل خلقهم لأن الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحس إلى معاناة، وهؤلاء يعانون، فيعكف أحدهم على المرئي البسيط - الأجسام الشفافة نحوها - حتى يرى مدركه الذي يخبر به، وربما يظن البعض أن هؤلاء يشاهدون مدركاتهم في سطح الجسم الشفاف الذي ينظرون فيه وهذا غير صحيح، فهم يستمرون في النظر إلى المرآة حتى يغيب البصر ويبدو بينهما حجاب كأنه غمام يرون فيه ما يتنبؤون به".

ومن هؤلاء من يشغل النفس بالبخور ثم العزائم ويخبرون بمدركاتهم يزعمون أنهم يرونها متشكلة صوراً من الهواء تحكى لهم ما يريدون معرفته بالمثال والإشارة. (٦١)

٦٠ - السابق - ص ١٠٥.

٦١ - ابن خلدون - المقدمة - ص ١٠٧.

وهكذا يبقى ابن خلدون دائماً يسبق عصره ويتناول القضايا بتفصيل وتعمق وجرأة وربما كان الفارق الزمني غير واضح في تناوله لهذه الظاهرة التي لم يتقدم البشر في فهمها كثيراً إلا في القرن الأخير.

العرافة:

شرح العلامة طاش كبرى زاده معنى العرافة وقدم مجموعة وافية من الأمثلة توضح حدود التعريف وتكاد تخرج به عن مشابهة الكهانة يقول كبرى زاده:

"علم العرافة هو الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث التالية بمناسبة بينهما أو مشابهة خفية أو ارتباط بينهما إما لكونهما معلولي أمر واحد أو لكون ما في الحال عله لما في الاستقبال بحيث يكون الارتباط بينهما خفياً لا يطلع عليه إلا الأفراد، إما بتجارب شاهدوها في أمثالها أو بحالة مودعة في نفوسهم بحيث يغلب على طابعهم علم الغيب. (٦٢)"

ويروى كبرى زاده مجموعة من الأمثلة توضح التعريف منها:

١ - لما خرج الإسكندر لغزو فارس مر بامرأة تخطط ثوبا فقالت له: "أيها الملك أعطيت ملكا ذا طول وعرض، ثم مر عليها ملك الفرس فقالت له: سيمزق الإسكندر ملكك، فغضب الملك فقالت: لا تغضب، إن النفوس قد تشاهد أموراً قبل وقوعها

٦٢ - مفتاح دار السعادة - طاش كبرى زاده - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ /

بعلامات تحكم النفس بصدقها، فإني لما مر على الإسكندر كنت أدبر طول الثوب وعرضه، ولما مررت أنت كنت قد فرغت منه وأردت قطعه".

وكان الأمر كما قالت.

٢ - كان في عهد هارون الرشيد عراف أعمى وكان يستدل - إذا سئل عن شيء ضائع - بكلام يصدر عقب السؤال، فسرق يوماً من خزانة الرشيد بعض الأشياء فطلب الرجل وأمر أن لا يتكلم أحد بعد سؤاله عن الشيء المسروق، ففعلوا كما أمر. وألقى الأعمى سمعه ينتظر شيئاً فلم يسمع شيئاً، فأمر يده على البساط فوجد فيه نوى تمر فقال:

"إن المسؤول عنه در وياقوت وزمرد في سبط فقال الرشيد، أين هو؟ فقال في بئر، فلما وجدوه سأله الرشيد عن كيفية معرفته فقال: وجدت نوى تمر، مطلع النخلة أبيض وهو كالدرة ثم يكون بساً وهو اخضر وهو لون الزمرد ثم يكون رطباً وهو أحمر وهو لون الياقوت، ثم لما سألتهم عن مكانه سمعت صوت دلو فعرفت أنه في بئر". (٦٣)

٣ - خرج رجلان في خلاص مسجون ووقفوا في الطريق على واحد من العرافين فسألاه فقال:

"أنتما في طلب مسجون فعجبا من ذلك فقال له أحدهما: هل يخلص أم لا؟ فقال: تذهبان فتجدانه قد خلص فوجدا الأمر كما قال، فاستدعاه أحدهما وأكرمه وتلطف له في السؤال عن كيفية علم ذلك فقال: نحن قوم نأخذ الفأل بالعين والنظر، فينظر أحدنا إلى الأرض ثم يرفع رأسه فأول شيء يقع عليه نظره يكون الحكم به، فلما سألتماني كان أول

ما رأيت ماء في قربة فقلت هذا محبوس، ثم لما سألتماني في الثانية نظرت فإذا هو قد أفرغ فقلت: يخلص".

٤ - رأى المهدي رؤيا وأنسيها فأصبح مغتماً بذلك فدلّه خاصته على رجل كان يعرف الزجر والفأل وكان حاذقاً فلما دخل عليه أخبره المهدي بما أراد فقال:

"يا أمير المؤمنين صاحب الزجر والفأل ينظر إلى الحركة وأفكار الناس، فغضب المهدي وقال: سبحان الله العظيم أحدكم يذكر بعلم ولا يدري ما هو، ومسح بيده على رأسه ووجهه وضرب بها على فخذه.

- فقال له: أخبرك برؤياك يا أمير المؤمنين.

- قال: هات.

- قال: رأيت كأنك صعدت جبلاً.

- قال المهدي: لله أبوك يا سحار، صدقت.

- قال : ما أنا بسحار يا أمير المؤمنين، غير أنك مسحت بيدك على راسك

فزجرت لك وعلمت أن الرأس ليس فوقه شيء إلا السماء فأولته الجبل، ثم نزلت بيدك إلى جبهتك فزجرت لك نزولك إلى أرض ملساء فيها عينان مالحتان، ثم انحدرت إلى سفح الجبل فلقيت رجلاً من قريش لأن أمير المؤمنين مسح بعد ذلك على فخذه فعلمت أن الرجل الذي لقيته من قرابتك.

- قال: صدقت".^(٦٤)

ورغم هذه المحاولة - المؤيدة بالأمثلة - التي تميل إلى التفرقة بين الكهانة والعرافة فإننا نميل إلى تقرير الحقيقة التي سجلها الأستاذ الدكتور توفيق الطويل في حاشية استعراضه لأفكار مفكري الإسلام عن ظاهرة التنبؤ إذ يقول:

"إن مفكري الإسلام ليسوا على اتفاق بصدد التفرقة بين الكهانة والعرافة ورغم هذا الخلاف فإنهم خصوا العرافة بأحداث المستقبل فقط ومنهم من خصها بالقيام على أسباب سابقة تمهد لها، ومن الأصح أن نخصها بما كان عن كسب وخبرة واستدلال وحدث".^(٦٥)

^{٦٤} - السابق - ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

^{٦٥} - التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام - الدكتور توفيق الطويل - ص ١٠١ .

الفصل الخامس

التتجيم

اعتاد الإنسان منذ آلاف السنين على صحبة الشمس والقمر ولفرط اعتياده عليهما وارتباطه بهما كان الكسوف والخسوف من أكثر الأحداث التي يواجهها الإنسان إثارة للأسئلة، وقد لاحظ الفلكيون المصريون القدماء طيلة مئات السنين التي سجلوا فيها الأحداث الفلكية أن كسوف الشمس وخسوف القمر يتبعان دورة تستغرق ١٨ سنة و ١١ يوماً لكي تكتمل.

وقد احتفظ الكهنة بأسرار هذه الدورة التي سميت "الساوس" مع سائر المعارف الفلكية العملية الأخرى، ومنحتهم هذه المعرفة بالأسرار قوى مدهشة ظاهرياً على التنبؤ بل على التحكم الظاهري في السماوات إذ كان بوسعهم أن يتنبؤوا بأن الإله (الشمس) سوف يحتجب نتيجة "المعاصي" التي يرتكبها الشعب فإذا ما حدث الكسوف أمكن للكهنة أن ييشروا باستعادة الشمس وفق شروطهم الخاصة.^(٦٦)

ومع تراكم الخبرات البشرية وتقدم وسائل البحث العلمي والملاحظة وانضباط مناهج البحث بضوابط أدق بدأت علاقة الإنسان تتكشف في ضوء معطيات جديدة مثيرة، وخلال الخمسين عاماً الماضية أجريت بحوث أثارت ضجة وكشفت عن معارف جديدة. وبدائيات

^{٦٦} - فكرة الزمان عبر التاريخ - مجموعة مؤلفين بإشراف جون جرانت وكولن ولسن -

هذه الثورة شديدة التواضع إذ تتعلق بالحركات الليلية اللطيفة للنبات، وكان العالم الفرنسى دوميران أول من سجل هذه الملاحظة وهي أن بعض النباتات تطوى أوراقها أثناء الليل وتنشرها طيلة النهار، بل إنها حين توضع في ظلمة دائمة فإن هذا الطي والنشر للأوراق يستمر دون توقف وكأن هذا النبات يعرف متى ينبغي أن يكون الوقت نهاراً ومتى ينبغي أن يكون ليلاً.^(٦٧)

القمر والأرض:

يدور القمر حول الأرض مرة كل ٢٧.٣ يوماً معطياً وجهه للأرض أما الأرض فتعطى وجهها للقمر مرة كل ٢٤.٨ ساعة، وتعرض مياه الأرض كلها لجاذبية القمر مرة كل يوم تقريباً فتتجذب إليه ثم تسقط ثانية محدثة حركة المد والجزر اليومية مما يؤثر على الشعور والإدراك عند الكائنات وبخاصة التي تعيش على شاطئ البحر، فالبحر مثلاً يلتزم في نشاطه التزاماً تاماً بإيقاع المد والجزر، فأثناء المد المرتفع يفتح صدفته ليتناول طعامه مطمئناً وما إن يحل الجزر يغلقها بإحكام تفادياً للضرر. وقد نقل العالم الأمريكى فرانك براون المحار من شاطئ البحر إلى مركز للأبحاث المائية ووجد أن المحار يلتزم بالإيقاع نفسه داخل الحوض المائى الصناعى، وبعد أسبوعين تغير إيقاع المحار مع تغير إيقاع المد والجزر في المياه التي كان يعيش فيها على بعد ألف ميل حيث موطنه الأصلي^(٦٨).

^{٦٧} - المرجع السابق ص ١٣٤.

^{٦٨} - تفسير الأحلام و التنجيم ص ١١ - ١٢ .

وهو ما يعني أن لدى هذا المحار ذاكرة يختزن فيها التغيرات التي تطرأ على حركة المد والجزر حتى بعد أن يغادرها للعيش في بيئة صناعية.

وكما أن للقمر إيقاعاً يومياً له كذلك إيقاع شهري، فبين اكتمال البدر وحتى الاكتمال التالي يصطف القمر والشمس والأرض في خط واحد، وبذلك تندعم جاذبية القمر بما يضاف إليها من جاذبية الشمس فيحدث مد وجزر أقوى من المعتاد وعندما تعاكس جاذبية الشمس جاذبية القمر، يحدث أيضاً لمرتين خلال دورة القمر أن ينخفض المد والجزر عن معدلة المعتاد.

والكائنات البحرية تتأثر كثيراً بهذه الدورة، ومن أغرب ما يكشف عن هذا التأثير ما يحدث لسمكة "لويثيس تنويس" التي تبدو تكيفاً عميقاً دقيقاً بالحركة الشهرية للقمر، فبعد اكتمال القمر في الشهور من مارس إلى أغسطس من كل عام تظهر هذه الأسماك على شاطئ ولاية كاليفورنيا الأمريكية، وما إن يكتمل البدر ويحدث المد الأكبر حتى تخرج هذه الأسماك إلى الشاطئ الرملي وبعد وقت محسوب بدقة تعود ثانية إلى البحر مع إحدى الموجات عندما يبدأ الجزر، وفي اللحظات القصيرة التي تستلقي فيها على الشاطئ تضع بيضها على الرمال المبتلة، وهي مطمئنة أنه سيبقى في مكانه بلا إزعاج لمدة أسبوعين حتى تحل موجة المد العالي التالية عندما يصل الماء إلى موقع البيض الذي يكون قد قهياً للفقس ومع اللمسة الباردة الأولى للماء يفقس البيض ويندفع السمك الصغير للماء.^(٦٩)

^{٦٩} - تفسير الأحلام والتنجيم - ص ١١ - ١٣ .

القمر والانسان:

بعض الشعوب أطلقت على القمر اسم "القابلة الكبرى" وتصوره (داية) هائلة تدفع بالأطفال خارج بطون أمهاتهم، وقد تصدى لاختبار هذه الحقيقة طيبان أميركيان قاما بجمع المعلومات عن أكثر من نصف مليون حالة ولادة تمت في مستشفيات نيويورك بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٧ وكشفت هذه العينات الكبيرة عن دلالات إحصائية ثابتة تؤكد زيادة عدد المواليد مع القمر المتناقص عنها مع القمر المتزايد مع أعلى معدل لها بعد اكتمال القمر مباشرة وأقل معدل مع القمر الجديد.

كذلك توجد علاقة أخرى بين الولادة وظاهرة المد والجزر، ففي المجتمعات التي تعيش على ساحل بحر الشمال بألمانيا ترتفع نسبة المواليد عادة مع المد العالي وتكرر هذه الظاهرة في كولون التي تقع على خط العرض نفسه وإن كانت بعيدة عن البحر مما يطرح احتمال وجود تأثير للقمر على انقباضات الرحم ليس فقط على سكان السواحل القرييين من حركة المد والجزر وإنما على كل سكان المعمورة.

ولما كان موعد الولادة يرتبط بموعد الدورة الشهرية عند المرأة فقد أجريت دراسات على علاقة القمر بحدوث الحمل قام بها العالم التشيكي يوجين يوتاس أثبتت أن قابلية المرأة البالغة للحمل ترتفع في حالة القمر المناظرة لحالتها عند الولادة فإذا كانت قد ولدت والقمر بداراً فإن أعلى احتمالات الحمل عندها تكون عندما يكتمل البدر، وقد قام يوتاس بتجربة نظرية على عدد من نساء أوروبا الشرقية فأعطى كل امرأة جدولاً خاصاً يعتمد على حالة القمر لحظة ولادتها وعندما استخدمت النساء هذا الجدول كوسيلة من وسائل منع الحمل

أثبت نجاحاً بنسبة ٩٨% وطبعاً دون آثار جانبية، كما أثبتت هذه الجداول فاعليتها في حالة الرغبة في الحمل.

وهناك ارتباط كذلك بين القمر والتزيف الدموي وهي حقيقة كانت حتى وقت قريب تتداول كخرافة بدائية حتى قام طبيب هو دكتور أديسون أندروز ببحث تناول ألف حالة من النازفين بشكل غير عادي أثناء العمليات، وكشف عن أن ٨٢% من نوبات التزيف الحاد تتم بين الربع الأول والأخير للقمر مع ارتفاع هذه النسبة إلى أوجها عند اكتمال القمر في منتصف هذه الفترة.

ويقول الطبيب في نهاية بحثه:

"هذه الحقائق التي وصلت إليها بكل ما فيها من دقة وثبات وإقناع هددت بتحويللي إلى ما يشبه الطبيب الساحر في المجتمعات البدائية فقد أصبحت اقتصر على إجراء العمليات الجراحية في الليالي المظلمة فقط، وأوفر الليالي القمرية لما يناسبها!!"

وهناك ما يوحى بأن الليالي القمرية تكون ذات تأثير غريب على بعض الناس ولفظ الجنون الإنجليزي "لونا سي" مشتق من اسم القمر "لونا" مما يوحى بصلة ما بين القمر والجنون، وقد بلغ من فرط رسوخ ذلك الزعم أن دخل ضمن نصوص القانون، فمنذ مائتي عام كان القانون الإنجليزي يفرق في نصوصه بين المجانين فعلاً والمجانين بسبب القمر، والجرائم التي كان يرتكبها عند اكتمال البدر واحد من أفراد الفئة الثانية كانت تنظرها المحاكم بكثير من الرفق والتساهل.

ومن التقاليد التي رسخت في مصحات الأمراض العقلية إلغاء إجازات العاملين بالمصحة والمشرفين عليها عند اكتمال البدر توقعاً لتأثير القمر على المرضى. وفي القرن الثامن عشر

كان يجري ضرب المرضى في اليوم السابق لاكتمال القمر كإجراء وقائي في وجه العنف المتوقع منهم طوال اليوم التالي.

وقد نشر المعهد الأمريكي لعلم طب المناخ تقريراً عن تأثير القمر على التصرف الإنساني وجاء فيه أن الجرائم التي تتم بتأثير المرض العقلي الشديد كالخريق وجرائم جنون السرقة التي تتم تحت الدوافع القسرية والقتل تحت تأثير الخمر كل هذه الجرائم تصل إلى ذروتها عند اكتمال القمر ولا يمنع تأثيره اختفاؤه وراء السحب.

واستطاع عالم الأعصاب والطبيب النفسي ليوناردو رافيتز أن يكشف عن علاقة سيكولوجية مباشرة بين الإنسان والقمر تفسر كثيراً من هذه الاعتقادات وذلك عن طريق قياس الفرق بين الطاقة الكهربائية الكامنة بين رأس الإنسان وصدره إذ وجد أن أعظم فارق بينهما يكون عند اكتمال القمر وبخاصة عند مرضى العقل.^(٧٠)

الانسان والشمس:

الشمس كتلة ضخمة من المواد الملتهبة يبلغ حجمها مليون من حجم الأرض التي نعيش عليها، يتحطم فيها كل ثانية ٤ مليون طن هيدروجين في انفجارات لا يمكن تصورها ترفع درجة حرارة مركزها إلى ١٣ مليون درجة مئوية، وتنتشر على وجه الشمس بقع سوداء ذات نشاط أكثر عنفاً وهي تهيح من وقت لآخر مولدة عواصف مغناطيسية تؤثر على الأرض،

^{٧٠} - المصدر السابق ص ١١ - ١٩ بتصرف. وكذلك: فكرة الزمان عبر التاريخ - مجموعة

مؤلفين بإشراف كولن ولسن وجون جرانت ص ١٥١ - ١٥٣.

وهذه العواصف القادمة من الشمس هي المسؤولة عن اختلال استقبال الإرسال الإذاعي والتلفزيوني واضطراب الطقس وحدوث الأعاصير والزوابع فوق المحيطات.

وقد استطاع العالم الفلكي هرشل في عام ١٨٠١ أن يصل إلى اكتشاف القانون الذي يحكم نشاط هذه البقع بعد ما ظل العلماء يظنون لفترة طويلة أن نشاطها عشوائي وقد وجد أن نشاطها يتبع دورة تتكرر كل ١١ سنة ووجد العلماء بعد ذلك أن لهذا النشاط أثر على الكثير من مظاهر حياتنا، ويمكننا أن نرى تسجيلاً دقيقاً لهذه الدورات في مقطع أي شجرة فالمعروف أننا إذا قطعنا جذع شجرة رأينا في مقطعها عدداً من الحلقات داخل بعضها البعض وكل حلقة تدل على سنة من عمر الشجرة.

وقد لاحظ العلماء أن الحلقة الحادية عشرة ومضاعفاتها تكون أكثر سمكاً من غيرها، كما تمكن العلماء من قياس هذه الظاهرة بشكل أكثر دقة عن طريق دراسة حفريات طبقة من الطين المتحجر عمرها ٥٠٠ مليون سنة فوجد أن طبقاتها يخضع سمكها لدورة تتكرر كل ١١ سنة.

وقد أثبتت دراسة حلقات مقطع جذع الأشجار القديمة أن أكثر الحلقات سمكاً كانت سنة ١٣٤٨ مما ينبئ بنشاط شمسي عنيف وكانت هذه السنة هي التي شهدت الوباء الرهيب الذي اجتاح العالم، وعندما انتشر وباء الطاعون في إنجلترا عام ١٦٦٥ سجلت الأرصاد الفلكية أعلى نشاط للبقع الشمسية، ويقول العالم تشييفسكي إن أخطر الأوبئة الطاعون والكوليرا في أوروبا، والتيفوئيد في روسيا والحصبة الوبائية في شيكاغو كلها حدثت عند أوج النشاط الشمسي الذي يحدث مرة كل ١١ سنة. بل إنه يزعم أن الحكومات التي حكمت بريطانيا في الفترة من ١٨٣٠ حتى ١٩٣٠ كانت كلها حكومات ليبرالية متحررة في

سنوات ذروة النشاط الشمسي بينما كانت الحكومات في فترات الهدوء الشمسي حكومات محافظة.

وللعالم الياباني ماكي تاكاتا الأستاذ بجامعة توهو تجارب حول هذه الظاهرة أهمها أنه كان قد ابتكر اختباراً لقياس الزلزال في الدم سمي "تفاعل تاكاتا" وتم تعميمه في المستشفيات، والمعروف أن نسبة الزلزال ثابتة عند الرجال ومتغيرة عند النساء تبعاً للدورة الشهرية، وفي عام ١٩٣٨ أفادت كل المستشفيات التي تستخدم هذا الاختبار عن زيادة مفاجئة غير طبيعية في نسبة الزلزال عند الجنسين فأجرى تاكاتا اختباره على رجلين يبعد كل منهما عن الآخر مائة ميل وعلى مدى أربعة أشهر يومياً فوجد أن تغيرات نسبة الزلزال متطابقة لديهما واستنتج من ذلك أنها ترجع إلى تغيرات كونية آتية من الفضاء، وعلى مدى عشرين عاماً استطاع تاكاتا إثبات هذا الاستنتاج علمياً عندما اكتشف أن هذه التغيرات تتم عند قيام نشاط كبير في البقع الشمسية.

وقد دعمت جهود تاكاتا ما قام به السوفيات من تجارب حول أثر الشمس على الدم، وقد اقتضى هذا إجراء ١٠٢ ألف اختبار على نزلاء مصحات البحر الأسود لقياس عدد الخلايا الليمفاوية في الدم ووجدوا أن النشاط الشمسي المكثف للبقع الشمسية يهبط بنسبة هذه الخلايا عن النسبة الطبيعية وقد حدث هذا النقص في عامي ١٩٥٦، ١٩٥٧ أثناء النشاط الكبير للبقع الشمسية.

وفي ١٧ مايو ١٩٥٩ حدثت ثلاثة انفجارات شمسية عنيفة وفي اليوم التالي دخل إلى مستشفى البحر الأسود ٢٠ مريضاً يعانون من أزمة قلبية حادة رغم أن المعدل الطبيعي لهذه

الحالات لا يزيد عن حالتين يومياً، وأظهرت الدراسات في ألمانيا وروسيا أن حوادث المرور تتزايد إلى أربعة أضعاف معدلها الطبيعي في اليوم التالي للانفجارات الشمسية.^(٧١)

وقد أمكن لأول مرة الوصول إلى طريقة للتنبؤ بالنشاط المحتمل للبقع الشمسية عندما كلفت إحدى الشركات الأميركية جون نلسون بدراسة العوامل التي تؤثر على الاستقبال اللاسلكي وقام نلسون بدراسة تاريخ الاستقبال اللاسلكي الضعيف منذ عام ١٩٣٢ فوجد أنه يرتبط بنشاط البقع الشمسية وعندما درس جون نلسون أوضاع ثلاثة كواكب هي المريخ والمشتري وزحل اكتشف أن النشاط الشمسي يحدث عندما يتواجد كوكبان أو أكثر على استقامة واحدة في اتجاه عمودي على الشمس أو على امتدادها، فاكشف أنه يستطيع التنبؤ بالنشاط المحتمل للبقع الشمسية قبل حدوثه بدقة تصل إلى ٨٠ % بل أمكنه أن يصل بتطوير وسائل بحثه إلى التنبؤ بالنشاط الشمسي بنسبة ٩٣ %. وقد كان هذا الاكتشاف أول برهان علمي على تأثير حركة الكواكب على أرضنا، ما أدى إلى بداية عهد جديد اختلفت فيه النظرة إلى التنجيم.

التنجيم، أدواته، نتائجه:

لكي ندرك قدر الاختلاف الذي حدث في النظرة إلى التنجيم نقرأ كلمات لابن خلدون تمثل النظرة التقليدية إلى هذه الوسيلة من وسائل التنبؤ يقول:

"ويزعم بعض الناس أن هنا مدارك للغيب من دون غيبة الحس فمنهم المنجمون القائلون بالدلالات النجومية ومقتضى أوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وهؤلاء

^{٧١} - تفسير الأحلام والتنجيم - ص ٢٢ - ٢٩.

المنجمون ليسوا من الغيب في شيء إنما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية على مزيد حدس" (٧٢).

وقد أوردت ما سبق من أبحاث وتجارب تتناول أثر الشمس والقمر والكواكب على الأرض وسكانها. فعلم التنجيم يقوم على افتراض أن الظواهر الكونية تؤثر على الحياة وأحداثها على سطح الأرض والأبحاث العلمية حول الطقس وعلاقته بإيقاعات وأوضاع الكواكب مما جعل رفض هذا الفرض الذي يتبناه المنجمون صعباً إلا أن الاختلاف ينحصر في درجة هذا التأثير. ورغم أن مزاعم المنجمين لم تنزل حتى الآن بلا سند ورغم أن الكثير منها يصعب قبوله على أساس علمي إلا أن بعض هذه المزاعم على الأقل يجد كل يوم أدلة متزايدة على سلامته العلمية.

وكما يقول الأستاذ راجي عنایت:

"كبداية للحديث لا بد أن نسقط من حسابنا كلية ما تنشره الصحف والمجلات في أبواب البخت والحظ فهذا نوع من التسلية ليس له أي أساس علمي أو حتى علاقة حقيقية بفن التنجيم، وهذه التنبؤات تلقى الرفض الكامل الذي تستحقه من المنجمين ومن نقادهم على حد سواء".

ولنبداً بفهم كيفية قيام المنجم بعمله، أهم أدوات التنجيم خريطة النجوم "الأوروسكوب" وهى خريطة تفصيلية للأجرام السماوية من زمان ومكان ولادة الشخص،

فكما تختلف بصمات الأصابع تختلف خريطة أي شخص عن خريطة الآخر إذا رسمت بدقة،
ولتحديد خريطة النجوم لشخص ما هناك خمس خطوات:

١ - معرفة وقت ومكان الولادة.

٢ - حساب التوقيت الفلكي ويستخلص من قوائم خاصة على أساس توقيت جرنتش، ومنه يتم تصحيح الوقت وفقاً للمنطقة وخطوط الطول والعرض.

٣ - تحديد علامات الطالع، فالكواكب تدور حول الشمس موزعة على ١٢ مجموعة تطلق عليها الأسماء الشهيرة وعلامة الطالع هي المجموعة التي تشرق في أفق السماء لحظة الميلاد.

٤ - تحديد علامة سمت السماء وهو البرج الذي يكون فوق رؤوسنا عند الولادة وهذا أيضاً له جداول جاهزة.

٥ - تحديد مواقع الشمس والقمر والكواكب على الخريطة الفلكية وهذا أيضاً له جداول تنشر سنوياً.

ويبدأ المنجمون تفسيرهم لعلامات الميلاد بقولهم إن كل ما على الأرض يتأثر بما يجري في الفضاء ويوافق العلماء على ذلك والمنجمون يرون أن الأحداث والأفكار على أرضنا تتأثر جميعاً في وقت تحققها بالظروف الكونية السائدة.

والعلماء الذين أمضوا حياتهم في قياس المغيرات المتصلة في الكون وأثرها على الأرض يؤيدون ذلك والخلاف الوحيد بين العلماء والمنجمين هو أنهم يقولون إن لكل كوكب تأثيراً خاصاً فهذه التأثيرات تعسفية جداً ولا يسند لها أساس علمي، والمنجمون أنفسهم لا يحاولون

مناقشة هذه الدلالات وإنما يسلمون بها كما وصلتهم من أسلافهم، فهم يقولون مثلاً إن عطارد كوكب الذكاء وأورانوس يرتبط بالتغيير المفاجئ وهكذا ...

أبحاث علمية حول التنجيم:

من بين القوانين التنجيمية التي وجدت سنداً علمياً قولهم إن وجود كوكبين في حالة اقتران أو تقابل بينهما زاوية ١٨٠ أو ٩٠ درجة يعبر عن حالة سيئة، وقد أثبتت الأبحاث التي قام بها نيلسون عن الإرسال، أن هذا الوضع هو أسوأ الأوضاع بالنسبة لاستقبال الإرسال وجود كوكبين بينهما زاوية ٦٠ أو ١٢٠ درجة يقول المنجمون إن المولود في هذا الوضع هو مولود وضع فلكي طيب.

ولعل أهم الأبحاث العلمية في هذا المجال ما قام به عالم النفس الأمريكي فرنون كلارك الذي بدأ بحثاً يهدف إلى التثبت من مدى صدق تنبؤات المنجمين فجمع الخرائط الفلكية لعشرة أشخاص عملوا لوقت طويل في وظائف ثابتة وقد تضمنت قائمته: (موسيقار، أمين مكتبة، طبيب بيطري، ناقد فني، ممثل، بائع كتب، عالم أعشاب، مدرس آداب، لاعب عرائس، طبيب أطفال) نصفهم من الرجال ونصفهم من النساء، وكلهم من مواليد أميركا وأعمارهم بين ٤٥ - ٦٠ سنة وأعطيت الخرائط مع قائمة مستقلة بالوظائف لعشرين منجماً وطلب إليهم تحديد الخريطة الفلكية التي تخص كل وظيفة فاستطاع ١٧ منهم أن يصلوا إلى نتائج لافتة.

ومضى كلارك بعد ذلك في تجاربه لمعرفة مدى قدرة المنجم على التنبؤ بأثر الخريطة الفلكية على الحياة الشخصية فأعطى المنجمين أنفسهم عشرة أزواج من الخرائط ومع كل

زوج قائمة بتواريخ بعض الأحداث الهامة مثل: الزواج، إنجاب الأطفال، الوفاة، وكان على المنجم أن يحدد أي الخريطين هي التي تخص الشخص صاحب هذه التواريخ، وزاد صعوبة العمل أن كل زوج من الخرائط كان لأشخاص من الجنس نفسه ومحل الإقامة نفسه والعمر نفسه. واستطاع ثلاثة من المنجمين أن يصلوا إلى الحل الكامل، ووصل الباقيون إلى نتائج أقل لكنها تتجاوز معدل الصدفة.

ولم يكتف كلارك بهذا فقام باختبار ثالث استبعد فيه كل المعلومات وأعطى كل منجم عشرة أزواج من الخرائط وطلب منهم أن يحددوا أي خريطة من كل زوج أصيب صاحبها بالشلل المخي فحقق المنجمون نتائج إيجابية تتجاوز نسبة الصدفة.^(٧٣)

أبحاث ميشيل جاكين:

في عام ١٩٥٠ وربما لأول مرة في تاريخ العلم تفرغ عالم أوروبي هو ميشيل جاكين لدراسة إيقاعات الكواكب ومدى أثرها على حياتنا، وقد ساعده في بحثه ما جرى عليه العرف في أوروبا من تسجيل اللحظة المحددة للميلاد لعدد من الناس وعلاقة لحظة الميلاد بأوضاع الكواكب بالنسبة للأرض من واقع الجداول الفلكية.

اختار جاكين ٥٧٦ عضواً من الأكاديمية الفرنسية الطبية كموضوع لدراسته الأولى، فكتشف أن نسبة عالية منهم ولدوا عندما كان المريخ وزحل قد ظهرا لتوهما عند الأفق أو

^{٧٣} - تفسير الأحلام - والتنجيم - ص ٤٤ - ٥٢.

كانا قد بلغا أعلى ارتفاع لهما في السماء. وعندما أراد الثبت من هذه النتائج أجرى تجربة أخرى على ٥٠٨ أطباء شهيرين آخرين فوصل إلى النتيجة نفسها.

وواصل ميشيل جاكين أبحاثه على المهن الأخرى غير مهنة الطب بين مشاهير الفرنسيين ومرة أخرى وجد ارتباطاً مثيراً بين المهنة وأوضاع الكواكب لحظة الميلاد، فمشاهير الأطباء والعلماء يولدون عندما يصعد المريخ فوق الأفق، بينما ينذر أن يولد الفنانون والمصورون والموسيقيون في ذلك الوقت، أما القادة العسكريون ورجال السياسة فيولدون في ظل شروق المشتري عند الأفق بينما ينذر ولادة العلماء في ذلك الحين.

وفي مواجهة المعارضة العلمية التي لقيها جاكين عندما أعلن نتائج دراسته قام على مدى سنوات طويلة بدراسات مشابهة في إيطاليا وألمانيا وهولندا وبلجيكا تضمنت ٢٥ ألف حالة فوصل إلى نفس النتائج: العلماء والأطباء يرتبط ميلادهم بشروق المريخ وزحل، العسكريون والسياسيون وأبطال الرياضة يولدون عند شروق كوكب المشتري، كما أن أصحاب المهارات الفردية كالأدباء وعدائي المسافات الطويلة فيميلون للارتباط بالقمر أكثر من ارتباطهم بأي كوكب.

وقد أثبتت دراسات ميشيل جاكين أن هناك ارتباطاً إيجابياً بين أوضاع الكواكب ومهنة الوليد، ومن المهم التأكيد على أن الحديث يدور عن أوضاع الكواكب وليس عن الكواكب نفسها.

وقد واصل جاكين تجاربه بعد ذلك للثبت من فرض خطره على ذهنه وهو وجود علاقة بين أوضاع الكواكب عند ولادة الأبوين ووليدهما، واختبار هذا الفرض عمل جاكين لأكثر من خمس سنوات معتمداً على بيانات المواليد لعدة مناطق حول باريس، جامعاً

المعلومات اللازمة لأكثر من ٣٠ ألف حالة طفل وأبويه، وفي نهاية بحثه اكتشف دليلاً ثابتاً على أن الآباء والأمهات الذين يولدون عند طلوع كوكب معين غالباً ما يولد أطفالهم في ظل الكوكب نفسه، وقد وجد أن هذا الكشف يظل قوياً ثابتاً في وجه العوامل المتغيرة المختلفة مثل جنس المولود وطول مدة الحمل السابقة غير أن الارتباط يكون أكثر ثباتاً عندما تتفق ولادة الأبوين عند طلوع نفس الكوكب. وقد استنتج من هذا كله أن دراسة أوضاع الكوكب في لحظة الولادة تتيح الوصول إلى نوع من التنبؤ حول مستقبل الوليد وخصائص طبعه وأنماط سلوكه الاجتماعي.^(٧٤)

وشهد النصف الثاني من القرن الماضي دراسات حول هذا الجسر الذي ظهر إمكان إقامته بين قوانين التنجيم واكتشافات العلم ما يطرح احتمال وجود "تنجيم علمي" أو وجود مبرر ذي سند من العلم لاعتباره "علماً".

^{٧٤} - تفسير الأحلام والتنجيم ص ٣٧ - ٤٠.

الفصل السادس

الأحلام المستقبلية

أثناء دراستي بكلية دار العلوم روى لنا أحد أساتذتنا أثناء دراسة ظاهرة الوحي قصة طريفة عن الأحلام المستقبلية، فقد كان أحد أصدقائه يرى حلمًا يتكرر بنفس التفاصيل إذ يرى نفسه مسافرًا في سفينة تمبط في ميناء لا يعرفه، وظل الحلم يتكرر على فترات متباعدة فإذا به بعد سنوات يسافر في السفينة نفسها التي رآها في الحلم ويتزل الميناء الذي رآه في منامه ويسير فيه وكأنه يعرفه.

وقد كانت القبائل البدائية تعتبر الأحلام المتجلية لها أهمية خاصة من الناحية الروحانية وأنها تعني الدخول إلى عالم الروح، وأن الشخص الذي تعاوده يملك صفات روحانية خاصة، ترشحه لأن يكون من الكهنة أو الشامان "Shaman" وهو ساحر القرية المقدس.

وكانت بعض القبائل تعتبر تلك الأحلام زيارة خاصة من الآلهة للفت النظر، لخطورة ما تهدد حياة فرد أو مجتمع وتندبر بها قبل حدوثها^(٧٥)، وصفحات التاريخ حافلة بأحلام مستقبلية كانت لها آثار خطيرة في حياة أفراد وأمم مثل بوذا وزير كس ولويس السادس وهتلر وغيرهم من الملوك وقادة الجيوش. بل إن أحد أساتذة علم النفس الأميركيين أنشأ عام ١٩٣٠

^{٧٥} - العلم وتفسير الأحلام - الدكتور عبدالرحمن نور الدين - ص ٦٢ - ٦٣ - دار

قسماً لدراسة الظواهر الخارقة بالجامعة التي يعمل بها إثر رؤيته لحلم مستقبلي ذي تفاصيل عجيبة حدث كما رآه.

ولا يغيب عن بال القارئ رؤيا فرعون للسنابل السبع والبقرات السبع وتأويل يوسف عليه السلام لها ورؤيا فرعون موسى التي أدت إلى أمره بقتل كل غلام ذكر يولد لليهود في مصر، وهي رؤى مستقبلية يعرفها كل مسلم ولا شك لورودها في القرآن الكريم أو أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الظاهرة والتفسير:

مر منذ قليل تقديس الشعوب البدائية للرؤيا المستقبلية، وقد أدى هذا التقديس إلى محاولة إيجاد تفسير لهذه الظاهرة وبخاصة مع تقدم الجنس البشرى وخروجه من طور البدائية، وكما اعتبرها البدائيون زيارة من الآلهة أو رسلها كانت لها في وجدان الإنسان العالم المتفلسف مكانة خاصة، فهي عند ابن سينا، أهم أنواع الأحلام وأنفعها وتنشأ عن اتصال النفس بالملكوت ويحدث ذلك أثناء النوم وفي بعض حالات اليقظة ويكون بمنزلة الإخبار بما سيكون وذلك أن يؤتى المستعد لذلك ما يقوى به على تخيلات الأمور الحاضرة والماضية والاطلاع على الأمور المستقبلية فيلقى إليه كثير من الأمور التي تكون في زمان المستقبل فينذر بها، وبالجملة يتحدث عن الغيب.^(٧٦)

^{٧٦} - الإدراك الحسي عند ابن سينا - دكتور عثمان نجاتي - دار المعارف - ١٩٤٦ - ص

ويرى ابن خلدون أن النفس تتجرد عن ماديتها وتصير روحانية فتقتبس علم ما تتشوف إليه من الأمور المستقبلية فإن كان الاقتباس جلياً رأت ما سيكون كما هو بغير حاجة إلى تفسير وإن كان الاقتباس غير جلي جاء في صورة رمزية تحتاج إلى تأويل، والنفس حينئذ تدرك عن غير طريق الحواس^(٧٧).

ورغم تقدم علم النفس وبخاصة في القرن العشرين إلا أنه قدم نظريتين لتفسير ظاهرة الأحلام محملة دون تفرقة بين الأحلام الاستشراعية وغيرها، وقد اعتبرت إحدهما الحلم وسيلة للتنفيس عن رغبات مكبوتة يحاول تحقيقها في الحلم (مدرسة فرويد) بينما رأت الأخرى أن الحلم ليس إلا استعادة للهموم اليومية في شكل رمزي (مدرسة يونج) وبين هذين التفسيرين ظلت الأحلام الاستشراعية مستعصية على التفسير فلجأ البعض إلى الفيزياء لتفسيرها مستفيدين بكشف آينشتين المثير عن النسبة، و"نظرية سنيل" عن المادة وخرجوا بعدة تفسيرات أهمها:

١ - الآن الرأي السائد بين الفيزيقيين يتجه إلى اعتبار الكون كله مؤلفاً من أمواج كهربائية وما المادة إلا أمواج كهربائية كورت في حيز ضيق، وعلى هذا الأساس يبني سنيل فرضيته فهو يرى أن كل مادة الكون تبعث ذبذبات وأمواجاً أثيرية خاصة لا تدركها الحواس الخمس (وهذه حقيقة قررها البروفسور دنكان أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة نيويورك سابقاً) ويؤيد هذه الفرضية أن الأبحاث الحديثة اكتشفت أنواعاً معينة من الأمواج الكهربائية تنطلق من دماغ كل إنسان. ويذهب الدكتور دايفس إلى أن كل فرد يطلق أمواجاً أثيرية

^{٧٧} - يرجع إلى: مقدمة ابن خلدون - طبعة دار إحياء التراث - بيروت - ص ١٠٤.

خاصة به دون غيره، فالسبب في حدوث الظواهر الخارقة إذن أن منطقة معينة من جسم الإنسان تتلقى أمواجاً كهربائية يتأثر بها من حيث لا يشعر.

وقد اعترض على هذا التفسير أولاً بأن الأمواج الكهربائية تضعف ببعدها المسافة، وقد اكتشف الباحثون أن التنبؤ لا يتأثر ببعدها المسافة، وثانياً بأن التنبؤ لا يدخل في هذا التفسير إذ لا يتصور صدور أمواج عن شيء لم يوجد بعد.

وقد أجيب عن الاعتراض الأول بأن سرعة الأمواج الكهربائية تختلف باختلاف أطوالها والموجة القصيرة لا يؤثر عليها البعد والقرب وقد تكون الموجات التي يطلقها الدماغ ويتلقاها من أقصر الأمواج الكهربائية، أما التنبؤ فيمكن أن يبنى على نظرية آينشتاين في الزمان.

فالفضاء في تصورنا له ثلاثة أبعاد: الطول والعرض والارتفاع بينما الفضاء عند آينشتاين له أربعة أبعاد: الطول والعرض والارتفاع والزمان، وبالتالي فالزمان ليس مجرد محاولة بشرية لقياس أفعالنا ولكننا لا نستطيع إدراكه بحواسنا، ومعنى هذا أن التنبؤ عن حوادث المستقبل لا يختلف في جوهره عن الإحساس بأشياء أخرى، فكما تحترق النفس البشرية الخارقة المسافة المكانية تستطيع اختراق المسافة الزمانية.^(٧٨)

٢- التفسير الثاني ينقله الدكتور عبد الرحمن نور الدين في كتابه: "العلم وتفسير

الأحلام" يقول:

^{٧٨} - مجلة المعارف - المجلد الأول - عدد ٩ - مقالة للشيخ مهدي شمس الدين - ص ١٤

"الزمن الذي نعرفه نسبي فكل مكان له زمانه الخاص الذي يختلف عن زمن الحياة الأرضية الذي نعرفه ومعنى ذلك أن الأحداث التي يعيشها الإنسان: ماضٍ وحاضر ومستقبل موجودة في زمان ومكان متغير والإنسان يمر بها، ويعتبر المستقبل هو الحدث الذي لم يصل إليه الإنسان بينما هو موجود في الزمان والمكان الخاص به".

والإنسان أثناء اليقظة يتوافق إيقاعه مع الحياة، أما في الأحلام وبخاصة الأحلام المتجلية (الاستشرافية) أو أحلام التنبؤ فإن الإيقاع يختلف بحيث يستطيع أن يرى ما سيحدث في المستقبل قبل أن يحدث فعلاً، يوافق علماء الروح على هذه النظرية ويقولون إن الأحلام والرؤى خاصة بالجسم الأثيري Astral Body وهو جسم شفاف خفيف يحيط بنا ويحتويها ولا يتصل بالجسم إلا عن طريق حبل سرى يصله بالمشخ، وأن مقدم الجبهة هو مكان الاتصال وبالتحديد بين الحاجبين ويتم الاتصال فعلياً عن طريق الغدة الصنوبرية الموجودة في قاع المخ والتي لم تعرف وظائفها بالتأكيد حتى الآن، وإن ثبت أنها تفرز بعض الهرمونات الخاصة بالتعرف على الضوء في الليل والنهار وأثناء اليقظة والنوم، ورغم أن هذه الغدة تقوم عند الحيوانات بدور هام جداً إلا أنها ما تزال في جسد الإنسان مجهولاً.^(٧٩)

والذي لا شك فيه أن محاولات التفسير لم تزل طفولية أو قاصرة إلى حد كبير وتقوم على أسس افتراضية تماماً فلا ينبغي أن يتسرع القارئ بتبني إحدى هذه النظريات المفترضة فنحن لم نر من جبل الجليد العائم إلا قمته وأكثره وما زال تحت الماء!

الفصل السابع

أشكال أخرى من التنبؤ

ألقى العلماء بأشكال التنبؤ أشكالاً أخرى غير السابق ذكرها، أهمها الفراسة وقراءة الكف التي اعتبرت من "أشباه الفراسة"، فأما الفراسة فيتحدث النويري عن بعض معتقداتها في "نهاية الأرب" فيقول:

"يقولون: عظم الجبين يدل على البله، وعرضه يدل على قلة العقل، وصغره يدل على لطف الحركة، والحاجبان إذا اتصلا على استقامة دلا على تخنيث واسترخاء، وإذا مالا نحو الصدغين دلا على سخرية واستهزاء، والعين إذا كانت صغيرة دلت على خبث في الطباع، وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد. والعين المتوسطة في حجمها دليل فطنة وحسن خلق ومروءة، والناثئة^(٨٠) على اختلاط عقل والتي يطول تحديقها على حمق، والتي تكسر طرفها على طيش، والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان".^(٨١)

ويحدد الدكتور توفيق الطويل مجال العلوم الملحققة بالفراسة بقوله:

^{٨٠} - العين الناثئة = العين البارزة عن مكانها الطبيعي أو الجاحظة .

^{٨١} - نهاية الأرب للنويري - ج ٣ - ص ١٤٤ - ١٤٥ - دار الكتب المصرية -

"علم أشباه الفراسة يدخل فيه محاولة استكناه الأعمار طولها أو قصرها، وما ينتظر الإنسان من سعادة أو شقاء، و ثراء أو عُدْم من الدلالات التي تحملها الخطوط القائمة في الأكف والأقدام والجباه استناداً إلى ما بينها من تقاطع وتباين وطول وعرض وقصر وما يفصل بينهما من فرج متسعة أو ضيقة" (^{٨٢}).

وقد مر هذا العلم بتراكمات كبيرة عبر الزمان والمكان اختطلت فيها الحقائق بالخرافات وأصبح من الصعب على القارئ في كتب هذا العلم أن يضع يده على ثوابت ما دفع بعض المهتمين إلى محاولات جادة لتنقية هذا الكم الهائل من المعارف بوسائل علمية.

وقد تم حديثاً إنشاء مدرستين متخصصتين في قراءة الكف إحداها في إنجلترا والأخرى في فرنسا، وبدأ الاهتمام بمعالم وتضاريس الكف حديثاً بين علماء الوراثة لما تكشف عنه هذه المعالم من خصائص وراثية وذلك لأنها تتحدد بصفة نهائية خلال الشهر الثالث أو الرابع من حياة الجنين وقبل ولادته وتبقى على شكلها الأساسي لباقي حياته، والمعروف أن توزيع التلال والأخاديد في راحة الكف يعتمد على توزيع الغدد العرقية ونهايات الأعصاب، وهذا التوزيع يبقى ثابتاً في أساسه لا يمكن محوه أو تغيير معالمه، فإذا أصيبت الكف بحرق شديد فإن التضاريس القديمة نفسها تعود إلى الظهور بمجرد التئام الجلد وعودته لحالته الطبيعية.

وكان الطبيب التشيكوسلوفاكي يان بوركنج أول من وصف بشكل علمي هذه التلال والأخاديد التي بالكف وأول من أجرى تصنيفاً لها في محاولة لإظهار دلالتها الطبية، الأمر الذي ما زال مأخوذاً به حتى الآن في الأوساط الطبية.

^{٨٢} - التنبؤ بالغيب عند مفكرى الإسلام - مرجع سابق - الدكتور توفيق الطويل - ص

وفي لندن تشكلت بعد ذلك جمعية سميت: "جمعية دراسة النمط النفسي من واقع الكف" وقد اتخذ علماء التشريح موقفاً مغايراً إذ اعتبروا خطوط الكف ناتجة عن عملية ثنى الكف وفردها وإن لم يفسروا سبب تباين أشكالها، وليصح هذا الفرض يجب أن تكون خطوط الكف للشخص الذي يمارس الحركات نفسها طوال حياته ثابتة لا تتغير، وهناك حالة تثبت خطأ هذا الفرض الذي تبناه علماء التشريح، فقد سقط أحد عمال البناء من مكان مرتفع وأصيب بإصابات خطيرة تسببت في غيابه عن الوعي أسبوعين وكانت تتم تغذيته بالحقن في الجهاز الدوري، وبعد أسبوع من الحادث اختفت كافة التفاصيل من يده وبمجرد عودته إلى وعيه عادت بالتدريج.

وكان أول من عمد إلى تشخيص المرض عن طريق دراسة معالم الكف من العلماء الموثوق بهم هو السير فرانسيس جالتون ابن عم تشارلز داروين، حيث جمع جالتون مجموعة كبيرة من رسوم الكف وتقدم بها إلى جامعة لندن، وفي عام ١٩٥٩ أمكن إثبات أن مرض "المنغولية" يرجع إلى خلل الكروموزومات، وأن هذا الخلل يرسم على كف المصاب بهذا المرض خطأً متميزاً يسمى "خط سيميان" في الجزء العلوي من راحة الكف. ومن ذلك التاريخ أمكن الربط بين ما يزيد على ثلاثين حالة من حالات المرض الخلقي أو الفطري وبين أشكال خاصة لراحة اليد تظهر حتى قبل ظهور أعراض المرض.

وفي عام ١٩٦٦ أمكن لأول مرة إثبات صلة بين الأشكال الغريبة في الكف وبين الإصابة بأنواع من الفيروس، وفي نيويورك أمكن التعرف على شكل خاص في كف ثلاثة أطفال ولدوا لأمهات أصبن بالحصبة الألمانية أثناء الشهور المبكرة للحمل، ورغم أن الأطفال لم يتأثروا صحياً بما حدث لأماهم إلا أن الأشكال المتميزة في كف كل طفل ظهرت متطابقة.

وفي عام ١٩٦٧ استطاعت مجموعة من الأطباء اليابانيين توسيع نطاق التجربة في مستشفى أوزاكا، وكان هدف الدراسة التعرف على التاريخ الطبي للشخص من واقع كفه، وبعد أن جمعوا ما يزيد على ٢٠٠ ألف رسم للكف مرفق بكل رسم منها تاريخ صاحبها الطبي، وجدوا ارتباطاً قوياً بين بعض هذه الرسوم والأمراض التي يعاني منها أصحاب الأكف. وقد توصلوا إلى أن هناك عوامل أخرى تدخل في الاعتبار منها طول الكف وعرضها والطريقة التي تتكون بها وتنقسم إلى جذر وملثلاث، وكذلك لون الكف وملمسها وأصبح بإمكانهم الآن بمجرد النظر إلى كف الشخص أو إلى رسم لهذه الكف أن يحددوا ما إذا كان صاحبها يعاني منذ وقت قريب من مرض عضوي مثل خلل الغدد أو تشوهات النخاع الشوكي أو عجز الكبد أو الكلى، كم استطاعوا التنبؤ بدقة عالية باحتمالات الإصابة في المستقبل ببعض الأمراض المعدية مثل التدرن الرئوي بل في بعض الحالات السرطان.^(٨٣)

وأطرف أشكال التنبؤ معرفة طبيعة الشخصية هي قراءة خط الكتابة وفي هذا الصدد يقول أحد علماء النفس الأميركيين:

"ليس من قبيل الصدفة أبداً الصورة الخاصة والشكل المحدد الذي نكتب به، مدى استطالة الخطوط الرأسية، وكيفية ميل الخطوط المنحرفة، وشكل الخطوط المنحنية وأشباه الدوائر وأين نضع النقاط على الحروف، فهذه الأمور جميعاً تحكمها قوانين الشخصية الإنسانية الحركات التي تؤديها أثناء الكتابة تكون أشبه بالإيماءات التي تصدر عنك

^{٨٣} - تفسير الأحلام والتنجيم - ص ٧٥ - ٩٥.

وتكشف عما تحمله داخلك من مشاعر، فكل ما يشرك أو يزعجك أو يفرحك سواء من الناحية النفسية أو الجسمانية يجد تعبيراً عنه عند طرف القلم الذي تكتب به"^{٨٤}

وقد تكون الأبحاث التي تجرى حول هذه الأشكال حديثة إلى حد ما قورنت بالدراسات التي أجريت على الأشكال الأخرى إلى جانب عدم ارتباطها بأشخاص موهوبين وهو ما يجعلها قليلة الإثارة، ولكن الذي لا شك فيه أن النتائج التي تحققت في المعامل تعتبر مبهرة ومبشرة بآفاق جديدة يتاح فيها للعلماء فهم أكثر من أسرار الكون وبالطبع أسرار الإنسان.

ولعل مما يبشر بعهد من ازدهار الدراسات حول هذه الأشكال هو تعاون علماء من مختلف التخصصات مع مراكز علمية لها شهرة أكاديمية وسمعة يعتد بها، إلى جانب تضائل مساحة الريبة التي كانت تقف حاجزاً ولمدة طويلة يحول دون تنقية هذه المعارف البشرية من الخرافات لتضاف إلى رصيد المعرفة البشرية العلمية.

^{٨٤} - السابق - ص ١٠٢.

الفصل الثامن
من أشهر المتنبئين

أسماء المتنبيين والمتنبئات في التاريخ العربي كثيرة لكن أخبارهم قليلة فإذا استطلعنا

الأسماء وجدنا:

خافر بن التوأم الحميري

سواد بن قارب الدوسي

سطيح الغساني

شق بن صعب التزاري.

ومن النساء:

طريفة الخبر كاهنة اليمن وهي أقدمهم.

زبداء بين الشحر وحضرموت

سلمى الهمدانية الحميرية

عفراء الحميرية

فاطمة الخنعمية

زرقاء اليمامة

سعدى بنت كريز خالة عثمان بن عفان

فإذا أردنا تصوركم الضباية التي تحيط بسير هؤلاء نتبع ما كتبه المؤرخون عن بعضهم

عن بعضهم فمثلاً سطيح وشق كاهنا اليمن يروى عنهما ما يأتي:

١ - أما سطّيح فهو ربيع بن ربيعة بن مسعود وينتهي نسبه إلى غسان، أما شق فهو ابن صعب بن يشكر وينتهي إلى نزار، ويقال إن سطّيحاً كان لا أعضاء له وإنما كان مثل السطحية ووجهه في صدره وكان إذا غضب انتفخ وجلس. وكان شق نصف إنسان ويقال إن خالد بن عبد الله القسري كان من سلالة^(٨٥).

٢ - كان سطّيح يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب، لا عظم فيه إلا جمجمة رأسه وكانت إذا لمست باليد يلين عظمها^(٨٦).

٣ - كان سطّيح لا جوارح له ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس، ويذكر أن وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق. ويذكر عن وهب بن منبه أنه قال: "قيل لسطّيح أنى لك هذا العلم؟ فقال: لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى عليه السلام فهو يؤدي من ذلك ما يؤديه".

وسمي سطّيح بذلك لأنه كان نصف إنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة، وولد شق وسطّيح في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة وهي بنت الحميرية امرأة عمرو بن عامر فدعت بشق وسطّيح قبل أن تموت فتفلت في فيهما وأخبرت أنهما سيخلفانها في كهانتها^(٨٧).

^{٨٥} - البداية والنهاية - ابن كثير - ج ٢ - ص ١٦٢ - دار الفكر العربي - مصر.

^{٨٦} - مروج الذهب - المسعودي - ج ٢ - ص ١٧٩ - دار المعرفة - بيروت.

^{٨٧} - سيرة ابن هشام - ج ١ - ص ١٦ الهامش طبعة التوفيقية .

٤ - كان أول ما تكهن به سطيح الغساني أنه كان نائما في ليلة مظلمة مع حرمة في لحاف، والحى نائمون إذ زعق من بينهم ورن وتأول وقال:

"والضياء والشفق والظلام والغسق ليطرفنكم ما طرق، قالوا: وما طرق يا سطيح؟ قال: ما طرق إلا الأجلح حين سرى الليل البهيم الأفلح، قالوا وما علامة ذلك يا سطح؟ قال: أمر يسد النقرة ذو حبة في الوجرة ومرة بعد مرة في ليلة قرة"

فانصرفوا عن قوله واستهانوا بأمره فجاءهم العاصفة في ليلة باردة فسأقت الأنعام والمواشي وكادت تذهب بهم.^(٨٨)

أما زرقاء اليمامة فرغم شهرتها لا يوجد عن حياتها تفاصيل تذكر فيروي النويري عنها:

"أنها كانت ترى الراكب على مسيرة ثلاث ليال، وعندما أرادت قبيلة أن تهاجم قبيلتها وكان أخوها ضمن جيش المهاجرين فأنذر قائده وعرفه بأمر أخته ونصحه بأن يستتر كل جندي وراء شجرة ففعل، ورأت زرقاء اليمامة الشجر المتحرك فأخبرت قومها فكذبوها وحدث ما كانت تخشاه، ووقعت زرقاء اليمامة في الأسر، فترعت عيناها فإذا فيها عروق سود وسئلت عن ذلك فقالت: "حجر أسود كنت أكتحل به فنشب إلى بصري، فأمر بها الملك المنتصر فصلبت"^(٨٩)

^{٨٨} - نهاية الأرب - النويري - دار الكتب المصرية - ١٩٣٠ - ص ٩٩ - ج ٢

^{٨٩} - نهاية الأرب - ٢ / ٥٧ - ٥٨ .

وهكذا رغم كثرة الأسماء فإن من ينقب في التاريخ لا يظفر بكثير من التفاصيل حول حياتهم، هذا بالطبع إلى جانب العديد من الأسماء الأقل شهرة من كهان القبائل وأصحاب الحكومات (الفصل في الخلافات) كالأفعى الجرهمي وغيره.

بيتر هوركوس

قليلون هم من يتصدون للكتابة عن ظاهرة القدرات الخارقة بشكل موضوعي علمي أمين ومن بين هذه القلة ينفرد الأستاذ راجي عنايت بمكانة خاصة إذ صدر له في السنوات الماضية عدة دراسات قيمة ومن بينها كتاب "رجل يعرف كل الأسرار"، الذي يعد من أكثرها إثارة ويحكى فيه قصة هذا المتنبئ "بيتر هوركوس".

ولد بيتر هوركوس في مدينة دوردريشت الصناعية الصغيرة بهولندا يوم ١١ مايو ١٩١١ واسمه الحقيقي بيتر كورنيليوس درهورك وأثناء ولادته لاحظت القابلة وجود غشاء رقيق يحيط برأسه، وهو غشاء نادراً ما يبقى حتى الولادة ويعتبر تكونه بهذا الشكل حالة نادرة للغاية، والطريف أن الهولنديين يعتقدون أن من يولد بهذا الغلاف تكون لديه القدرة على التنبؤ بأحداث المستقبل، وقد أدى التصاق جزء من الغشاء بعينه إلى أن يظل كفيفاً ستة أشهر حتى تم إزالة هذا الجزء بمعرفة الطبيب وإن ظل هوركوس يعاني طيلة حياته من ضعف شديد في بصره.

نشأ بيتر طفلاً عليلًا، وطالبا فاشلاً، وانتهت سنوات دراسته القصيرة بفصله من المدرسة وعمل لعدة سنوات على إحدى السفن التجارية كمساعد طباح، وفي ١٩٣٧ تزوج

وعمل مع والده، في عام ١٩٤١ تغير مجرى حياته تماماً، وأصيب في حادث سقوط كاد يودي بحياته وخرج منه شخصاً آخر ذو قدرات عجيبة.

إصابة شديدة وقدرات عجيبة:

في ١٠ يوليو ١٩٤١ خرج بيتر مع والده لطلاء مبنى مكون من أربعة طوابق وترك له والده الطوابق العليا لأن ارتفاعها يمنع من ظهور عيوب الطلاء فيها، وبقي هو في الأدوار التي تحتاج إلى مهارة لقربها من الأرض، ورغبة في توفير الوقت وضع بيتر السلم بين نافذتين ليتمكن من طلائهما معاً، وفجأة سقط بيتر من الطابق الرابع وارتطم بالأرض.

وجاء في تقرير مستشفى زويد فال الذى نقل إليه بعد الحادث:

"دخل المستشفى في ١٠ يوليو ١٩٤١ وخرج منه في ٥ أغسطس ١٩٤١، أصيب بارتجاج في المخ مع كل الأعراض المصاحبة".

وغاب بيتر عن الوعي أربعة أيام وعاد إليه وعيه فإذا به فقد الذاكرة، وعندما سئل عن أيام غيبوبته قال إنها لم تكن سوى دقائق معدودة.

وأول مرة ظهرت قدرته على التنبؤ كانت في المستشفى، ففي أول زيارة لزوجته نهرها وطالبها بالعودة إلى المنزل لأنه يحترق وقد عادت زوجته إلى المنزل الذي حدث فيه حريق بالفعل ولكن بعد خمسة أيام، وتكررت القصة مع اختلاف في التفاصيل مع إحدى الممرضات وأحد المرضى في المستشفى، واستدعى بيتر الطبيب وطلب منه حلاً لهذه المشكلة وأخبره أنه يشعر أن عقله لا يخصه وأنه أحياناً ينطق ببعض الكلمات رغم أنفه.

وبطبيعة الحال أصبح هوروكوس في نظر من حوله شخصاً شاذاً وربما مجنوناً وبخاصة أنه كان يتحدث عن أصوات وصور لا يعرف مصدرها.

وجاء لزيارته عدد من الأطباء بينهم مديرة مستشفى الأمراض العقلية، وأدرك ما يدور بأذهانهم، فعندما سأل أحدهم: ماذا ترى فيّ وجدها فرصة ليثبت أن ما يعانيه ليس اختلالاً عقلياً، فقال له أعطني شيئاً يتصل بك، فأعطاه قلمه، وهنا مسح بيتر على القلم وقال له: أرى عندك بيجاما مخططة تشبه جلود النمر عليها حرفان د، ج، وهنا ظهر أثر الكلام على الطبيب فسكت بيتر وعاد إليه هذا الطبيب بعد انصرافهم فقال له بيتر: لو كنت مجنوناً يا سيدي لذكرت باقي الكلام أمام زملائك فهذه البيجامة مهداة إليك من المريضة عشقتك التي أنجبت منها طفلاً، فقال له الطبيب: إننا لا نستطيع تفسير هذه الأشياء التي تراها وتسمعها وعليك أن تتعلم كيف تعيش هكذا.

طريق الشهرة:

خرج بيتر من المستشفى فوجد أحوال أسرته تسير من سيء لأسوأ وشعر بالحيرة تجاه مستقبله، وذات ليلة دق جرس الباب في الثالثة صباحاً وإذا بسيدة فقدت زوجها ترجو منه أن يساعدها بعد أن فشلت الشرطة في العثور عليه، فطلب شيئاً يخص زوجها وأحضرت له معطفه فتحسسسه ثم أخبرها بمكانه وكان قد سقط في فخ في الغابة عند عودته للمتل ومات، وبالفعل ذهب البوليس إلى المكان ووجدوه كما وصف بيتر.

ذاعت شهرة بيتر وحاسته السادسة بعد هذه الحادثة وتبعها نبوءات عديدة أكدت قدرة هذا الرجل على التنبؤ واتسعت دائرة شهرته، فسافر إلى بلجيكا وفرنسا والتقى بالجنرال

فرانكو في أسبانيا بناء على دعوة خاصة من الجنرال، واستدعاه بوليس اسكتلنديارد لكشف غموض سرقة حجر سكون الثمين.^(٩٠)

وبعد هذه القضية الهامة قضى حوالي خمس سنوات في خدمة الشرطة الفرنسية ثم عمل مستشاراً لطبيب فرنسي يسعى إلى استنباط مصل جديد لمرض شلل الأطفال، وقد تحدث هذا الطبيب عن مساعدة بيتر هوركس له لمجلة (الباري ماتش) وقرأ هذا الموضوع طبيب أمريكي من أصل يوغوسلافي هو الدكتور أندريا بوهاريش وهو حاصل على مؤهل في علم وظائف الأعضاء والطب الباطني كما حصل على مؤهل خاص في الدراسات العصبية وأجري لسنوات طويلة بحثاً حول القدرات الخارقة ويعد من أعلام هذا النوع من الدراسات في أميركا.

بيتر في أميركا:

في عام ١٩٤٨ أنشأ دكتور بوهاريش معملًا للبحوث أطلق عليه "مؤسسة المائدة المستديرة" وقد تخصصت هذه المؤسسة في إجراء التجارب حول الظواهر الخارقة وقد وجه الدكتور بوهاريش الدعوة لبيتر لزيارة المؤسسة لمدة ستة أشهر وإن كانت قد امتدت إلى أكثر من سنتين.

^{٩٠} - جوهرة كانت تزين تاج ملوك اسكتلندا واستولى عليها الملك إدوار الأول ونقلها إلى كنيسة ويستمنستر فوضعت أسفل كرسي التتويج وجرى تتويج كل ملوك وملكات بريطانيا منذ ذلك التاريخ في وجودها.

نجح بيتر هوركس في أربعة من كل خمسة اختبارات أجريت على قدرته على السيكوميتري أو ما يعرف في الأوساط الشعبية عندنا بـ "الأثر" كما أجرى عليه بوهاريش دراسة عن عمل عقله أثناء ممارسة هذه القدرة وكانت تجربة شديدة الإثارة.

وضع بيتر في حجرة تسمى: "قفص فرادي" وهي معزولة بشبكة من الأسلاك يسرى خلالها تيار كهربى قوته ٢٥ ألف فولت بحيث لا يسمح بدخول أي موجات كهرومغناطيسية لعزله عن أي عوامل مساعدة من الخارج ورغم استحالة اختراق الموجات الكهرومغناطيسية لهذا العازل الرهيب فإن بيتر نجح وهو داخل القفص في التخاطر مع شخص خارج القفص، وقد ظهرت نتائج هذه التجارب في كتابين للدكتور بوهاريش هما: "عش الغراب المقدس" و"ما بعد التخاطر"

ورحل بيتر هوركس وبقيت التجارب العملية والقصص وعلامات الاستفهام؟؟

دلالات مثيرة:

كانت تجربة هوركس حافلة بالدلالات التي استوقفت العلماء والمهتمين حتى بعد وفاته وقد كانت سيرته الذاتية التي كتبها بنفسه دافعاً لمهتمين من غير معاصريه ليكتبوا عن ظاهرة التنبؤ فيقول الكاتب الأمريكي المشهور كولن ويلسون:

"إن نقطة البدء في كتابي "العرافة" هي ملاحظة أن القوى النفسية تبدو في كثير من الأحيان وكأنها تنطوي على انخيار أو على الأقل فقدان الكفاءة في قوانا العقلية السوية، وعلى سبيل المثال، سقط عامل هولندي اسمه بيتر درهوك من فوق سلمه وأصيبت جمجمته

بكسر، وعندما أفاق في المستشفى اكتشف أنه يعرف كل شيء عن زملائه المرضى، عن ماضيهم بل عن مستقبلهم أيضاً".

"هذه القدرة العجيبة لازمتها، وتحت اسم بيتر هوركوس طارت شهرته بوصفه "مكشوف عنه الحجاب" أو يرى ما وراء البصر (متكهن نفسي) وكثيراً ما قام بمساعدة الشرطة في حل قضايا القتل غير أنه في الأيام التي أعقبت الحادث الذي وقع له مباشرة وجد الحياة صعبة لأن قواه النفسية الجديدة جعلت من المستحيل عليه التركيز في الأعمال اليومية العادية، وكان من الممكن أن يتضور جوعاً لولا أن اقترح عليه شخص ما أن يستغل قواه لكسب قوته على المسرح بوصفه ساحراً".^(٩١)

ويضيف الكاتب البريطاني جون تايلور الأستاذ بجامعة كمبردج معلومة هامة توضح شهرة بيتر وقدرته فيقول:

"كان هوركس يقصده ما لا يقل عن خمسة أشخاص يومياً خلال فترة زمنية لا بأس بها خلال الحرب العالمية الثانية ليسأله عن أخبار أقربائهم الذين يجاربون على الجبهة هل قتلوا أم أسروا؟ وكانوا يعطونه صورة للشخص أو شيئاً من ملابسه يحاول من خلالها أن يكتشف مصير صاحبها. وقد أفاد الكثيرون أن ما كان يخبرهم به اتضحت صحته".^(٩٢)

^{٩١} - فكرة الزمان عبر التاريخ - مجموعة مؤلفين - عالم المعرفة - الكويت - ١٩٩٢ -

^{٩٢} عقول المستقبل - جون تايلور - عالم المعرفة - ص ٢٠٢، ٢٠٣.

نوسترا داموس

أول ما يتبادر إلى ذهن الشخص العادي عند الحديث عن الكهانة والعرافة وغيرها من أشكال الخروج من الزمن أن هذه سمة من سمات تاريخ أمم الشرق انفردت بها دون غيرها والحقيقة أن هذه الأنشطة لازمت البشر أن وجدوا وشغلت المجتمعات كلها تقريباً ولكن بنسب متفاوتة، والمطالع لثراث الحضارة الغربية يجد أسماء من ملوك وفلاسفة وقادة وأدباء ورجال دين أثارهم الظاهرة بشكل ما وتفاعلوا معها وأحياناً أثرت في حياتهم.

وفي العصور الوسطى - عصور سيادة الكنيسة على الحياة في الغرب - كانت هذه الظواهر الروحية موضوعاً من موضوعات الفلسفة المسيحية وسنكتفي في هذا السياق بنص للقديس توما الإكويني أشهر فلاسفة المسيحية يتحدث فيه عن التنبؤ يقول:

"لما يكن هذا النمط من المعرفة طبيعياً بالنسبة لذهننا لأنه - أي الذهن - يتلقى معارفه من الأحاسيس فإن علينا أن ننسب هذه المعارف إلى التأثير الذي تحدثه فيه أسباب عليا جسدية أو روحية وهكذا فإنها تأتي من أسباب روحية حين ينير الله بواسطة الملائكة الذهن البشري ويرتب الصور المحسوسة الموجودة فيه بصورة تجعله يعرف الأشياء القادمة".^(٩٣)

^{٩٣} - نبوءات نوسترا داموس دكتور دو فونبرون - دار التوجيه اللبناني - ترجمة: أسامة

من بين من عرفوا بهذه القدرة يظل لنوستراداموس مكانة عالية، وبخاصة بعد أن ربط بعض مفسري نبوءاته بينها وبين أحداث هامة خلال السنوات القليلة الماضية على اعتبار أنه تنبأ بها في نبوءاته التي تمتد حتى سنة ٣٧٩٧ حسب زعم المفسرين!! فمن هو؟

حياته:

ولد ميشيل دونوترادم المشهور بنوستراداموس في سان ريمي في ١٤ كانون الأول سنة ١٥٠٣ وكان والده كاتباً وكان له أخ عمل وكيلاً لبرلمان آرل، ويوجد بخصوص حياته كتاب وضعه تلميذه جان إيميدو شافيني، وكان دكتوراً في اللاهوت والحقوق وقاضياً في بون سنة ١٥٤٨ وعنوانه: "بحث قصير في حياة ميشال دونوترادم الذي كان يعمل مستشاراً طبياً للملوك المسيحيين هنري الثاني وفرنسوا الثاني وشارل التاسع".

ومن بين ما جاء في هذا الكتاب:

أنه درس في آفينيون وأكمل دراسته في جامعة مونبيلييه حيث درس الفلسفة والطب وحصل على درجة دكتوراه بامتياز في سن السادسة والعشرين ورحل إلى آجن حيث توفيت زوجته وولدها منها فدفعته المحنة إلى دير أورفال البلجيكي ليكتب نبوءاته المشهورة.

ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث اشتهر بسبب الأدوية التي استخدمها لمكافحة وباء رهيب، مثيراً غيرة زملائه ثم اقترن في زواج ثان وأنجب ثلاثة أولاد وثلاث بنات.

ويتحدث شافيني عن أصله فيقول: كان جداه من جهتي أمه وأبيه بارعين للغاية في الرياضيات والطب وقد اشتغل أحدهما طبيباً لرونيه ملك أوشليم وصقلية كونت بروفانس، والآخر طبيباً لجان دوق كالابر ابن الملك رونية.

ظهرت الطبعة الأولى من نبوءات نوستراداموس سنة ١٥٥٥ وأعيد طبعها مرات عديدة في ليون وأمستردام ومنذ الطبعة الأولى جاء نجاحها كبيراً، فعندما سمع بها هنري الثاني استدعى نوستراداموس إلى البلاط سنة ١٥٥٦ وصرفه محملاً بالهدايا وبعد ذلك بقليل زاره شارل التاسع خلال رحلة له وعينه طبيباً له.

وتوفي نوستراداموس بالاستسقاء في ٢ / ٧ / ١٥٦٦ عن ٧٢ سنة كما ورد في شاهد قبره وجرى دفنه تحت مذبح كنيسة، وبعد عام ١٧٨٩ نقل جثمانه إلى كنيسة سان لوران دو سالون.

وفي ٣ / ٢ / ١٦٦٧ يشير صامويل بيبس أن السير كارتيري كان عنده عند احتضاره وأنه حلف الحاضرين إلا يسمحوا بفتح قبره أبداً وكأنه كان يعرف أن قبره سيفتح بعد ستين عاماً من وفاته.^(٩٤)

وهذه الرواية توضح تماماً ما خلفه من سيرة تكتنفها الأسرار!!.

نبوءاته:

يتمتد الغموض الذي أحاط بسيرة نوستراداموس إلى ما بعد وفاته حيث ظهرت نبوءاته في القرن العشرين على يد طبيب أمراض جلدية شهير كانت له معه قصة طريفة. كان الطبيب المرموق يستقبل مرضاه عندما دخل عليه مريض لا يعرفه فاجأه بعد الاستشارة وبلا مقدمات: تناهى إلى سمعي حضرة الطبيب أنك رجل متبحر في العلوم وفكرت أن من واجبك

^{٩٤} - نبوءات نوستراداموس - دكتور دوفونرون ص ٤٢ - ٤٥.

الاهتمام بأعمال نوستراداموس، فأجاب الطبيب: سمعت عن الرجل لكن هذا لا يثير اهتمامي بوجه خاص، وفي الحال أخرج الرجل من جيبه كتاباً صغيراً وأعطاه له وقال: "فقط ألقِ نظرة على هذا النص".

أما الرجل فمجهول، وأما الطبيب فهو ماكس بيجار دوغوريير الذي اشتهر فيما بعد باسم الدكتور دو فونبرون، وأما بقية القصة فأكثر طرافة!!

كان الكتاب نسخة عن نبوءات نوستراداموس طبعت في ليون عام ١٦٠٦ بدأ الطبيب في القراءة وتوقف عند النص التالي:

"ستكون ثلاث مناطق بفعل الاختلاف الأقصى للرباط هي بالتحديد رومانيا وجرمانيا وإسبانيا التي ستصنع شيعاً مختلفة بنتيجة الأعمال الحربية".

كان الطبيب يقرأ هذه السطور في عام ١٩٣٤ وكان موسوليني قد استولى على السلطة بالفعل في إيطاليا في عام ١٩٢٢ بعد مسيرة قهوييلية، أما هتلر فقد استولى على السلطة في ألمانيا في عام ١٩٣٤ بعدما صفى المعارضة، وكانت إسبانيا هي الباقية لتحقيق النبوءة، وكان في ذلك الوقت الجنرال فرانكو قد بزغ نجمه حتى رقى في سن صغيرة إلى رتبة القائد الأعلى للأركان.

كانت هذه النبوءة هي الحدث الجوهري في علاقة الدكتور دوفونبرون بالكتاب وصاحبه، فأصدر أول طبعه منه في عام ١٩٣٨ وتوقع فيها هزيمة ألمانيا وهو التنبؤ الذي أدى إلى مصادرة الكتاب وسحبه من المكتبات وجرى حرق ألفي نسخة وتذويب حروف المطبعة الخاصة به.

وخلال سنوات الحرب حاولت المخابرات الألمانية اعتقال الدكتور دو فونبرون أكثر من مرة ولكنه أفلت نتيجة اتصالات هاتفية مجهولة كانت تأتيه دائماً قبل القبض عليه بقليل.

نموذج لنبوءاته:

تعتبر النبوءة سالفة الذكر عن صعود الفاشية في إسبانيا وألمانيا وإيطاليا من النماذج الواضحة التي كان لها أثر على ارتباط اسم نوستراداموس باسم الدكتور دوفونبرون وهناك نبوءة أخرى يتعرض لها دكتور دو فونبرون ويوليها اهتماماً كبيراً، ففي رسالة كتبها المؤلف إلى ولده وسمّاها رسالة إلى قيصر يقول:

لأن العالم يقترب من ثورة عظيمة، وأنا أكتب هذا قبل ١٧٧ عاماً وثلاثة أشهر و١١ يوماً.

وهذه النبوءة كتبها في مارس سنة ١٥٥٥ وحسب الفترة التي حددها يكون عام ١٧٣٢ هو عام تحقق النبوءة وقد شهد هذا العام دخول جان جاك روسو إلى باريس حيث أصدر كتاب "العقد الاجتماعي"، وهي نقطة البدء للثورة الفرنسية التي كانت بداية عهد جديد في عالم تاريخ العالم وبخاصة الغرب.

وقد بذل الدكتور دوفونبرون جهداً ضخماً لحل ألغاز النبوءات وأصدر منها عدة طبعات كان آخرها عام ١٩٥٥ ثم توفي الشارح عام ١٩٥٦ في مدينة مونبيلييه وفاة مفاجئة في نفس المدينة التي تلقى فيها نوستراداموس دروسه في الطب.^(٩٥)

^{٩٥} - نبوءات نوستراداموس - ص ٦ - ١٢.

الفصل التاسع

تساؤل حائر... ومحير!!

قديمًا عرف الإنسان الظواهر الخارقة كظل للمقدس سواء عَبْدَ إلهًا أو آلهة، وكان القادر على إتيان الأفعال الخارقة إما أن له رأي من الجن أو يتمتع بنفس قادرة على الاتصال بالكائنات النارية: الجن والشياطين، ولا نملك للأسف الشديد كتابات موضوعية تحدثنا عن بدء ظهور هذه الطفرة على من عرفوا بها، وما يُروى عن ذلك أقرب للخرافات والقصص الشعبي منه إلى التفسير الموضوعي، فزرقاء اليمامة مثلاً ظهرت عليها أعراض الاستبصار بعد أن كانت تكتحل وتسرب الكحل إلى عينيها في شكل عروق سوداء مختفية تحت أحداقها لم تظهر إلا بعد أن سمل الأعداء عينيها، وكانت هذه العروق تمكنها من رؤية الراكب على مسافة ثلاث ليالٍ؟ ومن هذا القبيل أيضاً ما يروى عن شق وسطيح كاهني اليمن من روايات عجبية.

على أن هذه الضبابية التي تحيط بأشخاص الكهان والمتنبئين لم تدم خاصة بعد دخول الظاهرة إلى معامل الأبحاث ومحاولة وضعها أو - على الأقل بعض مظاهرها - موضع التجربة، وساعد على ذلك ظهور شخصيات مثل بيتر هوركس وجين أونيل وغيرهما تعاونوا مع العلماء المهتمين بهذه الظاهرة وتوفرت عن حياتهم وتجربتهم مع الظواهر الخارقة معلومات صحيحة ويمكن الاعتماد عليها لتكوين تصور دقيق عن بعض جوانب الظاهرة.

والمطلع على ميراث هذه الظاهرة في كتابات المؤرخين والكتاب والفلاسفة يلمح رغبة في تخطيط هذا السياج الذي يحيط بالظاهرة من خلال تجارب وممارسات يدعون صلاحيتها لتمكين الإنسان العادي من التنبؤ، فمن ذلك مثلاً ما يرويهِ ابن خلدون في مقدمته يقول:

"وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل ذلك، أن آدمياً إذا جعل في دن مملوء بدهن السمسم ومكث فيه أربعين يوماً يُغذي بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه إلا العروق وشؤون رأسه يُسأل عنه من عواقب الأمور العامة والخاصة".

"ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون بالجاهدة موتاً صناعياً بإماتة جميع القوى البدنية ثم محو آثارها التي تلونت بها النفس ثم تغذيتها بالذكر لتزداد قوة ويحصل ذلك بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع أنه إذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على المغيبات". (٩٦)

وتعتبر السطور القليلة التي يروي فيها المتنبي الأوروبي الشهير نوستراداموس كيفية حدوث هذا التحول في حياته من خلال رسالة كتبها إلى ولده وعنوانها: "إلى ولدي قيصر" يقول:

"لقد تناهت إلى يدي عدة مجلدات كانت محبأة طوال قرون، ولكنه لما كنت أشك بما قد ينجم عنها فقد أطعمتها النار بعد أن قرأتها، وفي حين كانت النار تلتهمها كان اللهب يكلم الهواء باعثاً الضياء غريباً وأكثر لمعاناً من اللهب العادي شبيهاً بالضوء الذي

٩٦ - مقدمة ابن خلدون - ص ١٠٩ - دار إحياء التراث العربي - مصر.

يصدر عن وميض هزة أرضية، وقد أثار بيتي فجأة كما لو أن بيتي يتعرض لحريق مباغت".^(٩٧)

فرضية كولن ويلسون:

منذ زمن بعيد افترض الباحثون وجود خاصية أو خواص فسيولوجية في الأشخاص القادرين على التنبؤ تختلف عن الأشخاص العاديين، وإذا عدنا إلى ما قبل هذه السطور بقليل نجد "تفسيراً خلدونياً" يربط بين التخلص من الجسد والانطلاق في عالم الروح لإدراك الغيب، وقد رصدت التجارب العملية التي أجريت على المتنبئ الهولندي بيتر هوركس في معامل مؤسسة المائدة المستديرة بالولايات المتحدة الأمريكية تحت إشراف دكتور بوهاريش نشاطاً غير عادي للمخ يكاد يكون المظهر الوحيد المحسوس لفسيولوجيا التنبؤ فقد أدخل هوركس في حجرة تسمى: "قفص فرادي" وهي عبارة عن وعاء مقفل مصمم بحيث تحجب جدرانها الموجات الكهرومغناطيسية وذلك عن طريق تغطيته بشبكة من الأسلاك النحاسية الدقيقة يندفع فيها من مولد كهربائي تيار تبلغ قوته ٢٥ ألف فولت.

ويشرح دكتور بوهاريش الغرض من استخدام فرادي في تجاربه فيقول:

"إن توليد مجال كهربائي قوي لا يسمح للموجات الأخرى بالنفوذ، وفي حالتنا هذه يكون الهدف هو عزل الشخص صاحب القدرات العقلية الخارقة بقدر الإمكان لمعرفة

^{٩٧} - نبوءات نوستراداموس - دكتور دوفونبرون - ترجمة أسامة الحاج - دار التوجيه

قدراته الحقيقية دون أن تصله أي مساعدة من مصادر خارجية لا تعرفها. وقد نجح بيتر في تجارب التخاطر التي أجريت عليه وهو داخل القفص فاستطاع أن يتصل تخاطرياً بشخص خارج القفص رغم مرور الكهرباء بكل قوتها في جدران القفص".^(٩٨)

وقد حاول الباحث الأميركي الشهير كولن ويلسون أن يستخلص تفسيراً لظهور قدرة ما من القدرات الخارقة على شخص في مرحلة من حياته مستفيداً في ذلك بنماذج توفرت عنها معلومات صحيحة يمكن الثقة بها والاعتماد عليها. يقول ويلسون:

"حين عنِّي أن أوجه انتباهي إلى عالم العرافة أو الظواهر الخارقة للمألوف صدمني أن الشخص الذي يستجيب للمؤثرات الخارقة ما هو إلا نمط الشاعر، شخص ليس العالم الفيزيائي بالنسبة إليه سوى وجه واحد من الواقع".

وقد كنت مفتوناً دائماً بقدرة الأطفال الخارقين للعادة على الحساب وهم في العادة أطفال صغار يتمتعون بذكاء عادي ويستطيعون القيام بعمليات حسابية ذات أرقام هائلة في رؤوسهم، ولا يقل عن ذلك غرابة الفئة المعروفة باسم: "العلماء البلهاء" وهم أطفال قد تكون نسبة ذكائهم في مستوى الشخص المأفون (ضعيف العقل) ومع ذلك يتمتعون في مجال واحد معين بموهبة عقلية يصعب تصديقها، وبعض هؤلاء "العلماء البلهاء" يتمتعون بقوى نفسية متطورة للغاية، فعلى سبيل المثال رفض صبي أن يقوم مدرسه بتوصيله إلى البيت لأنه أمه - كما قال - سوف تلتقي به خارج المدرسة، والواقع أنه أمه وصلت حقاً للقاءه ولكنها كانت قد قررت ذلك قبل نصف ساعة فقط حين ساقها مشوار بالقرب من المدرسة.

^{٩٨} - رجل يعرف كل الأسرار - راجي عنایت - ص ٤٧ - ٤٨.

وهناك حالة لسيدة تدعي جين أونيل شاهدت أثناء قيادتها لسيارتها متجهة صوب مطار لندن حادثة خطيرة وعاونت على تحرير أناس أصيبوا إصابات خطيرة من حافلة مهشمة، وكانت الصدمة من القسوة بحيث كان لابد لها من عدة أسابيع تقضيها بعيداً عن العمل وبدأت تعاني أثناء اليقظة رؤى غريبة بعضها كان على درجة عجيبة من الدقة.

إن الحادث الذي وقع لبيتر هوركس بشأن الحادث الذي صادف السيدة جين أونيل، هز عقله حتى أخرجه عن مجراه العادي المحدد وجعله يدرك أن "الشعور اليومي" لا يوثق به أساساً في تقريره عن الواقعة التي تحيط بنا.^(٩٩)

ترى هل هناك مشابهة بين ما يطرحه كولن ويلسن في نهاية القرن العشرين وبين ما تصوره ابن خلدون في القرن الثامن من علاقة بين الحالة العقلية والجسدية وبين القدرات الخارقة؟. إنه مجرد سؤال؟!.

^{٩٩} - فكرة الزمان عبر التاريخ - كولن ويلسون وآخرين - ترجمة: فؤاد كامل - عالم

الفصل العاشر

نبوءات بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم

أبو سفيان وهرقل:

روي البخاري عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام، المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماداً فيها أبا سفيان كفار قريش، فأتوه وهو بإيلياء ودعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا ترجمانه فقال:

– أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

– قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً.

– فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم

إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه.

– فوالله لولا الحياء من أن يأتروا عليّ كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه

أن قال:

– كيف نسبه فيكم؟

– قلت: هو فينا ذو نسب.

– قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

– قلت: لا.

– قال: فهل كان من آبائه من ملك؟

– قلت: لا.

- قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟
 - فقلت: بل ضعفاؤهم.
 - قال: أيزيدون أم ينقصون؟
 - قلت: بل يزدون.
 - قال: يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟
 - قلت: لا.
 - قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟
 - قلت: لا.
 - قال: فهل يغدر.
 - قلت: لا، ونحن في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة.
 - قال: فهل قاتلتموه؟
 - قلت: نعم.
 - قال: فكيف كان قتالكم إياه؟
 - قلت: كانت الحرب بيننا سجلاً ينال منا وننال منه.
 - قال: وماذا يأمركم؟
 - قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشرکوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.
 فقال للترجمان قل له:
 * سألت عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

* وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا، فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقول قيل قبله.

* وسألتك هل كان من آباءه من ملك، فذكرت أن لا، فلو كان من آباءه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه.

* وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ليكذب على الله.

* وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل.

* وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

* وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

* وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

* وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان حقاً فسيملك موضع قدمي، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

ويكمل الإمام البخاري هذه النبوة فيقول:

وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم فرأى ذات ليلة أن نجم الحتان قد ظهر فقال: من يختن في هذه الأمة؟ فقال له بعض بطارفته: ليس يختن إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل

برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما استخبره هرقل، قال اذهبوا فانظروا المختن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختن وسأله عن العرب فقال هم يختنون، فقال هرقل هذا ملك هذه الأمة قد ظهر.^(١٠٠)

نبوءة كسرى:

كان لكسرى ثلاثمائة وستون رجلاً من الحزاة ما بين كاهن ومنجم وساحر وكان فيهم رجل من العرب يسمى السائب وكان إذا أحزنه أمر جمعهم فقال انظروا في هذا الأمر ما هو، فلما أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم أصبح وقد انفصل طاق ملكه "الإيوان" وانخرق سد قد بناه على دجلة فدعا الكهان والمنجمين وفيهم السائب فنظروا في أمره فأخذت عليهم أقطار السماء وأظلمت الأرض، فلم يمض لهم ما راموه وبات السائب على ربوة من الأرض ينظر فرأى برقاً من قبل الحجاز استطار فبلغ المشرق فلما أصبح رأى تحت قدميه روضة خضراء، فقال: "إن صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عليه الأرض كأفضل ما أخصبت على ملك".

فلما تشاور الكهان فيما بينهم قال بعضهم لبعض والله ما حال بينكم وبين علمكم إلا أمر جاء من السماء وإنه لنبي بُعث يسلب هذا الملك، ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم، فاتفقوا على كتمان الأمر، وأخبروه أن الجسر وإيوان الملك قد بنيا على وضع النحوس

^{١٠٠} - فتح الباري - كتاب بدء الوحي - حديث رقم ٧ - ص ٤٢ - ٤٤ - ج ٤ -

وحسبوا له وضعاً آخر لبنائه فانهار مرة أخرى فقتل منهم نحو المائة وقال لهم أقربكم وأجري عليكم الأرزاق وتلعبون بي؟ فكررُوا الحساب مرة أخرى فانهار فلما هم يقتلهم جميعاً فأفضوا إليه بالأمر فقال ويحكم، هلا بنيتم لي فأرى رأيي؟^(١٠١)

نبوءة يمنية:

كان ربعة بن نصر ملك اليمن بين ملوك التبابعة ورأى رؤيا هالته وقطع بها فلم يدع كاهناً منجماً ولا ساحراً ولا عائفاً من أهل مملكته إلا دعاه ثم جمعهم فقال لهم:

"إني رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبروني بها وتأويلها، فقالوا: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها فقال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم بتأويلها لأنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى شق وسطيح فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبران بهما سأل عنه، فبعث إليهما فقدم إليه سطيح قبل شق فقال له: إني رأيت رؤيا هالتي فضعت بها فأخبرني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها، فقال: افعل، رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض قممة فأكلت منها كل ذات جمجمة.

فقال الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحيش فليملكن ما بين آيين إلى جرش.

^{١٠١} - الكامل - ابن الأثير - ١ / ٢٨٤ - دار الكتاب العربي - بيروت.

فقال له الملك يا سطيح: إن هذا لنا لغائظ موجه فمتى هو كائن أفنى زمايني أو بعده؟

فقال: لا وأبيك بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين من السنين ثم يقتلون فيها ويخرجون منها هارين.

قال: ومن يلي ذلك من إخراجهم وقتلهم؟

قال: يليهم إرم ذي يزن يخرج عنهم من عدن فلا يترك منهم أحداً باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟

قال: بل ينقطع.

قال: ومن يقطعه؟

قال: نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي.

قال: ومن هذا النبي؟

قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون في قوم إلى آخر الدهر.

قال: فهل للدهر من آخر؟

قال: نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون يسعد فيه الحسنون ويشقى فيه المسيئون.

قال: أحق ما تخبرني؟

قال: نعم، والشفق والغسق والفلق إذا اتسق إن ما أنبأتك به لحق".

ثم قدم عليه شق فكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان، قال نعم رأيت جمجمة

خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة.

فقال له الملك: ما أخطأت يا شق منها شيئاً فما عندك في تأويلها؟

فقال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان ليزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل

طفلة البنان فليملكن ما بين أبين إلى نجران، فقال له الملك: وأبيك يا شق إن هذا لنا غائظ

موجه فمتى هو كائن أفنى زمايني أم بعده؟

قال: لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكُم منهم عظم ذو شأن ويديقهم الهوان.

قال: ومن هذا العظيم الشأن.

قال: غلام ليس بدنيّ ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذي وزن.

قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟

قال: بل ينقطع برسول مرسل بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يكون الملك في

قومه إلى يوم الفصل.

قال: وما يوم الفصل؟

قال: يوم تجزى فيه الولاة يدعى فيه من السماء بدعوات تسمع منها الأحياء

والأموات ويجمع الناس فيه للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

قال: أحق ما تخبرني؟

قال: إي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض إن ما أنبأتك به لحق

فيه من أمض. (١٠٢)

١٠٢ - البداية والنهاية - ابن كثير - دار الفكر العربي - ١ / ١٦٢، ١٦٣ وأوردها ابن

هشام في سيرته ص ١٦ - ١٩ ج١ - طبعه المكتبة التوفيقية.

الفصل الحادي عشر

نبوءات أندلسية

الرسول يبشر طارق بن زياد:

كان البحر دائماً هو أخوف ما يخوف العرب في غزواتهم وقد وصفه أحد القادة المسلمين لعمر بن الخطاب فقال له: خلق كبير عليه خلق صغير وهم فيه كدود على عود، فقال عمر رضي الله عنه: "والله لا أركبت فيه مسلماً أبداً"!!

وقد حدث في عهد عمر بن الخطاب أن تسرع أحد قواده في إرسال سرية من المسلمين بطريق البحر دون أن يستأذنه أو حتى يخبره، فعاقبه عمر، وقد ظل البحر حتى بعد تكوين المسلمين لأسطول حربي وبعد خوضهم معارك حربية في عرض البحر ظل هاجساً يبعث على الخوف، وفي عهد الوليد بن عبد الملك أرسل موسى بن نصير فاتح المغرب وشمال إفريقيا أفضل قواده طارق بن زياد لفتح الأندلس مجتازاً البحر المتوسط، ورغم أن البحر في هذه المنطقة أقرب إلى الخليج الصغير منه إلى البحر إلا أن شيئاً من الخوف كان يخامر الفاتحين.

ويروي المؤرخ الشهير المقري في كتابه: "نفح الطيب" أن طارق بن زياد صادف عجوزاً من أهل الأندلس فقالت له فيما قالت: "إنه كان لها زوج عالم بالحدثان (متنبئ) فكان يحدث عن أمير يدخل إلى بلدهم ويغلب عليه ويصف من نعته أنه ضخم الهامة وفي كتفه الأيسر شامة عليها شعر فكشف عن ثوبه فإذا بالشامة في كتفه".

وذكر طارق أنه كان نائماً في المركب فرأى في منامه الرسول وحوله الصحابة قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي وقال له: "يا طارق تقدم لشأنك"، ونظر إليه وإلى أصحابه وقويت نفسه فلم يشك في الظفر.^(١٠٣)

ولعل هذا ما يفسر انتصار جيش مؤلف من سبعة آلاف جندي - زادوا إلى اثني عشر ألفاً بالإمدادات - على جيش يتجاوز عدده مائة ألف جندي.

وزير له هاتف!!

في عصر الطوائف تمزقت الأندلس إلى ولايات متباغضة متحاربة، وكان دور الوزراء في هذا العصر كبيراً وتأثيرهم عظيماً لأسباب عديدة منها أن بعضهم كان يتولى الوزارة لأكثر من مرة مما يزيد خبرته ونفوذه، كما كانوا هدفًا لمحاولات الاستمالة من جانب بعض الأمراء الطامعين في أن تصير الولاية لهم على حساب بعض إخوانهم وغير ذلك من أشكال التآمر السياسي التي تطفو على السطح في فترات التمزق والانقسام، وقد كان من أشهر وزراء عصر الطوائف ثلاثة تفاقمت بينهم العداوات لدرجة توريط أمرائهم في حروب لا هدف لها سوى الانتقام من بعضهم، كان هؤلاء الثلاثة (صموئيل) اسماعيل، وابن بقية، وابن عباس.

^{١٠٣} - نفح الطيب - للمقري - طبعة دار المأمون - ج ٢ - ص ١٨٢ - ١٨٣.

كان ابن عباس مغروراً لدرجة لا تحتل و كان دائم التعالي حتى على أضرابه من وزراء الأندلس بل أمرائهم وانتهى به الأمر مقتولاً على يد أحد الأمراء هو أمير المرية، وما إن جاء الخبر إلى غرناطة حيث الوزير اسماعيل حتى رأى حليماً غريباً له قصة طريفة.

يقول المؤرخ الأوربي العلامة دوزي:

"إن هذا الوزير كان له هاتف خفي يعتاده في الحلم، واليهود في ذلك كالعرب يتوهمون أن سراً من الأسرار يلهمهم وهم في نومهم بنبوءات عن المستقبل، وقد عاده الهاتف في الحلم وردد ثلاثة أبيات من الشعر بالعبرية معناها:

لقد هلك ابن عباس وشيعته الملتفون حوله وهذا الوزير الذي كان يظاھرہ (ابن بقیة) یوشك أن یقتل ویداس، لقد دارت الدائرة على أحدهما وعمّا قليل یلحقه الآخر".

ویكمل دوزي:

"وبعد بضع سنين تحققت نبوءة إسماعيل، وصح الآن أن الشعور بالخوف أو الحب يجعل في الشخص سراً غريباً يدرك به بعض الأمور الغيبية" (١٠٤)

بمن ستحل النكبة؟:

من أشهر ملوك عصر الطوائف أبو عمرو بن عباد الملقب بالمعتضد والذي تولى حكم إشبيلية عام ٤٣٩ هـ وكان بعض المنجمين قد تنبأ له بأن جيلاً من الناس سيولد خارج

١٠٤ - ملوك الطوائف - دوزي - ترجمة كامل كيلاني - عيسى البابي الحلبي - ج ١ -

ملكته يكون على يده انتزاعها من بني عباد. وقد أورثت هذه النبوءة المعتضد حساسية شديدة تجاه أعدائه وكانت هذه الظنون تذهب به كل مذهب، ورغم أن فكرته كانت دائماً تتجه إلى أنت هؤلاء هو البرازلة من البربر المقيمين بجواره إلا أنه كان دائم المطاردة لأعدائه مهما كان شأنهم حقيراً فيروي في ذلك أنه صادر أموال رجل من رعاياه وفر الرجل مرتحلاً حتى وصل إلى الحجاز وأقام هناك هارباً من ظلم المعتضد إلا أنه رسل إليه كيساً من الدراهم المسمومة التي تسرب سمها إلى يديه وقتله، واحتال حتى قتل مؤذناً فر من إشبيلية إلى إمارة مجاورة وكان يدعو عليه في صلاة الفجر.^(١٠٥)

ويعصف المؤرخ العلامة دوزي أثر هذه النبوءة على حياته فيقول:

"وفي آخر سني حياته امتلأت رأسه بالمخاوف والأفكار السوداء بسبب نبوءة بعض الناظرين في ميلاده من المنجمين فما زال بالبرازلة البربر حتى أفناهم جميعاً وظن بذلك أنه فر من هذا الحلم المرعب، ولكنه بدأ يرى نفسه مخدوعاً بعد عبور طائفة من البربر في إفريقيا إلى الأندلس بسرعة غريبة وهم المرابطون".

وقد ورد عليه كتاب من صاحب سبته يقول فيه:

"إن طلائع المرابطين عسكرت في مراکش" فاهتم لهذا النبأ حتى قال له أحد وزرائه: "كيف يزعجك ذلك يا مولاي وبيننا وبينهم البحر واليابس؟"، فقال بصوت حزين: "إني على يقين من أنهم سيصلون إلينا يوماً ما وربما تشهد بنفسك هول هذا اليوم".

ثم نظر إلى بنيه وصوب نظره فيهم وقال:

"ليت شعري، من منا ستحل به النكبة أنتم أم أنا؟".

فقال له ولده المعتمد: "لا بل أنا، جعلني الله فداك، الذي أحل عنك كل كائنة" (١٠٦).

ومرت السنوات الطويلة بعد موت المعتضد، وتحققت النبوءة في عهد المعتمد الذي وقع أسيراً في يد المرابطين؟ وهكذا حمل الوالد قلقها وتجرع الابن مرارها.

يشترى عدوه ليقته!!

من الأقوال المأثورة التي علقت بذهني منذ فترة طويلة الحكمة العربية التي تقول: "ثلاثة لا يأمنهن إلا الأحمق: ائتمان النساء على الأسرار، وشرب السم للتجربة، ومصاحبة الملوك"، وصفحات التاريخ مليئة بالحمقى الذين راحوا ضحية هذه الصداقة المميتة التي خدرتهم وجعلتهم يجدون الأمن في أحضان الأفاعي.

وقد شهد تاريخ الأندلس علاقة شهيرة، من هذا النوع القاتل كان أحد طرفيها المعتمد بن عباد والطرف الآخر الشاعر الأندلسي محمد بن عمار، وقد كان ابن عمار مغموراً نال شهرة بالشعر كما نال مالا، فرحل يمدح كل من يدفع له حتى دخل بلاط المعتضد ومدحه بقصيدة من عيون الأدب الأندلسي، ووجد الشاعر في بلاط المعتضد أميراً شاباً تعلق كل

منهما بالآخر أيما تعلق وكان هذا الأمير هو ولي العهد. وقد بلغ من تأثير هذا الشاعر على الأمير الشاب حداً لا يتصور مما دفع الملك المعتضد إلى نفيه.

وما إن مات المعتضد وتولى المعتمد حتى استدعى خليله ابن عمار وعادت العلاقة بينهما كأقوى ما تكون، وطلب الشاعر من أميره أن يوليه حكم مدينته الصغيرة التي ولد فيها وأجابه الأمير في الحال، ورغم بعد الشاعر عن عاصمة الحكم إلا أن الأمير كان يستدعيه باستمرار ليقضيا معاً ليالي سمر يتشاطران فيها الخمر والشعر والمشاعر الحميمة.

وفي الليلة الموعودة سهر النديمان حتى لعبت بهما الخمر تماماً وألح الأمير على صديقه أن ينام معه على فراشه فنام مكرهاً، وما إن نام ابن عمار حتى سمع هاتفاً يقول له:

"أيها التعس إن هذا الذي تنام معه على فراش واحد لا محالة قاتلك".

فهب من نومه فزعاً وقاوم هذا النذير وعزاه إلى تأثير الخمر ونام مرة أخرى فعاوده النذير مرة ثانية وثالثة فهب من نومه فزعاً وتسلسل من المخدع الملكي خارجاً وفي نيته الهرب، كانت أبواب القصر مغلقة ولا سبيل إلى الخروج فأدرج نفسه في حصار ونام في دهليز أمام أحد أبواب القصر منتظراً طلوع الصباح حتى يهرب.

وبلغ الرعب مبلغه فقرر أن يعبر البحر ليقیم في إفريقية حتى يموت، واستيقظ المعتمد فأيقظ الحرس والخدم وخرج بنفسه للبحث عن ابن عمار، ووقف أمام الحصيرة التي يختبئ فيها وعندئذ تحرك الرجل حركة لإرادة لمحها المعتمد فأمر الحرس بفتحها وخرج منها ابن عمار يبكي ويرتجف خوفاً.

استولت الدهشة على المعتمد وأخذ في تهدئة روعه حتى يعلم منه سر هذا التصرف الغريب، وبعد أن هدأ الرجل لوى للمعتمد قصة الحلم الذي رآه فطمأنه المعتمد ونفى الخاطر عنه وقال له: "ثق أي إن أقتلك فإنما أقتل نفسي".

ومرت السنوات وبدأ ابن عمار يثق ثقة زائدة بنفسه لدرجة الاستهانة بالمعتمد وتمزق ما كان بينهما حتى ضاقت إشبيلية بابن عمار وخرج ليعمل وزيراً لأمير آخر ثم ثالث وبلغت الفجوة بينه وبين المعتمد حداً جعله يهجوهُ بقصيدة، وما إن علم المعتمد بذلك حتى قرر الانتقام من ابن عمار.

وخرج ابن عمار في حملة عسكرية تحت لواء أحد أمراء الأندلس وهزم هزيمة منكرة، وكم كان ابن عمار مؤرقاً بهذه النبوءة رغم خروجه من إشبيلية، وكان نصيبه في هذه المعركة أن يقع في أسر أعدائه الذين باعوه للمعتمد لينتقم منه، وما إن ظفر به المعتمد حتى قتله بنفسه غير عابئ ببيكائه واستجدائه. (١٠٧)

وتحققت النبوءة بعد سنوات وبمتهى القسوة !!

الفصل الثاني عشر
نبوءات من الشرق والغرب

نبوءة نفروروهو:

عثر الأستاذ جولنيسف على بردية هي الآن بمتحف ليننجراد وتحتوي على نبوءات كاهن مرتل اسمه نفروروهو وتبتدئ البردية بمنظر مألوف في كل عصور التاريخ الفرعوني حتى في النقوش الرسمية، ويصور مقدمة للموضوع: الملك جالس مع حاشيته يتشاور في أمر أو يستمع إلى حكاية أو كما نجد في هذه البردية، الملك لحب استطلاع أمور الغيب تتوق نفسه لسماع شيء لم يكن يعرفه.

تقول البردية:

"اتفق في عهد جلالة الملك سنفرو وهو الملك المحسن في كل هذه الأرض أن موظفي القصر دخلوا عليه يوماً ليقدموا له التحية فقال لهم ابجثوا عن ابن من أبنائكم أو أخ من إخوانكم يجيد الفهم بارع يتحدث إلى بكلمات جميلة أجد فيها تسلية".

ورشحت له حاشية نفروروهو فاستدعي من المعبد الذي يعمل فيه على بعد ٩٠ كيلومتراً من العاصمة وأدخل عليه.

وبعد أداء التحية قال له الملك: "حدثني بما يسليني.

فقال له نفروروهو: هل أحدثك عما حدث أو عما سيحدث؟

قال الملك سنفرو: بل عما سيحدث.

فأخذ نفرور وهو يصف للملك ما سيحدث لمصر في المستقبل وقال له إن مصر ستعرض للخراب والدمار حين يأتي الآسيويون ويعذبون الفلاحين ويسلبون ماشيتهم، عندئذ ستصبح البلاد خراباً فلا تجد من يهتم بها ولا من يبكي عليها ونيل مصر يصبح جافاً يخوضه الإنسان على قدميه تلك هي حال البلاد عندما تصبح مغزوة تتألم.

وسياقي ملك من الجنوب، وهو ابن امرأة نوبية الأصل ويولد في الوجه القبلي، وسيلبس هذا الملك التاج الأبيض والتاج الأحمر، ويوحد البلاد وينشر السلام ويحبه الناس، واسم هذه الملك أميني. وقد تحققت هذه النبوءة بعد هذا العصر بثلاثة أجيال كاملة على يد الملك (أمنمحات) المولود في جنوب مصر لأم نوبية، وقد عرف اختصاراً باسم "أميني".^(١٠٨)

فيل في رحم الملكة:

يروى أن الملكة مايا ملكة الهند والدة بوذا مؤسس الديانة البوذية استيقظت صباح يوم أحد الأعياد فاستحمت بماء العطر ثم وزعت أربعمائة ألف قطعة نقود على الفقراء، وتزينت وأكلت طيب الطعام ثم دخلت مخدعها الملكي ونامت فرأت هذا الحلم:

"رأت أربعة ملوك عظماء يرفعونها في سريرها ويأخذونها إلى جبال الهيمالايا ويضعونها على هضبة. ثم رأت ملكات هؤلاء الملوك الأربعة يأخذنها إلى بحيرة ويغمسنها في

^{١٠٨} - مصر القديمة - سليم حسن - ج ٣ - دار الكتب المصرية.

الماء ويلبسها أردية جميلة ويعطرفها بعطور مقدسة، وبالقرب منها رأت جبلاً من فضة وعليه قصر من ذهب وهناك أعددن لها سريراً فخماً رأسه إلى الشرق وأرقدن عليها".

وتتابع الملكة رواية حلمها فتقول:

"ثم جاء فيل أبيض جميل هبط من على جبل الفضة وفي جعبته التي تشبه جبلاً من الفضة كان يحمل زهور اللوتس البيضاء، ونُفخ في بوق فدخل الفيل قصر الذهب ودار حول سريري ثم ضرب جنبي الأيمن ودخل رحمي".

وروت الملكة حلمها للملك فاستدعى المعبرين وسألهم عن هذا الحلم فقالوا إن الملكة قد حلمت ذكراً فإن سكن ذلك البيت يصبح ملكاً وإلا فإنه سيخرج ليسود الدنيا بأسرها ويرفع غشاوة الجهل عن أعين الناس.^(١٠٩)

وتأكدت النبوءة بحلم رآه الملك نفسه إذ رأى ابنه الأمير الجميل يترك القصر في ليلة ويخرج تاركاً الملك ليهيم على وجهه كاهناً في ملابس حمراء، وكبر بوذا وتزوج وأنجب وذات ليلة رأت زوجته (جوبا) في منامها الأمير ينام في جوارها ثم رأت زلزالاً يهز الأرض ورياحاً تقتلع الأشجار ثم رأت سرير الأمير الذي ينام فوقه وقد تحطم إلى شظايا ثم حملت مياه كثيرة الأمير إلى السماء^(١١٠).

وتحققت النبوءات وترك الأمير بوذا القصر ليؤسس البوذية.

^{١٠٩} - قصة الحضارة - ترجمة زكي نجيب محمود - ج ٣ - ص ٦٤ - ٦٦.

^{١١٠} - العلم وتفسير الأحلام - الدكتور عبد الرحمن نور الدين - دار الهلال - ص ١٦.

حلم في لوحة فرعونية:

كان الأمير تحتمس أثناء حكم الملكة حتشبسوت في رحلة صيد في صحراء الجيزة خارج مدينة منف العاصمة الفرعونية الشهيرة وأدركه التعب فتزل عن حصانه ونام بين زراعي أبو الهول فرأى في منامه إلهاً من آلهة الفراعنة هو (حورماخو) يشره بالحكم وبأنه سيصبح من فراعنة مصر، وتحققت النبوءة وتولى تحتمس حكم مصر ليصبح أحد أشهر فراعنتها. وقد أقام لوحة بين أقدام أبي الهول يحكي فيها حلمه.^(١١)

لماذا وافق الوزير؟:

كان الأمير الفارسي زيركس يفكر في غزو بلاد الإغريق فاستشار المقربين الذين نصحوه بالعدول عن ذلك، وكان ممن ينصحه بذلك وزيره الأكبر أرتاباتوس، واستجاب الإمبراطور لنصائحهم وعدل عن الفكرة، ثم رأى في منامه رجلاً طويلاً نبيلاً يقف بجوار سرير ويلومه على العدول عن الغزو وينصحه باستئناف حملته، وقص الملك على وزيره الحلم فأصر الوزير على رأيه.

ولأن إحساس الملك بالحلم لم يكن عادياً، فقد طلب من الوزير أن ينام في فراشه ليتأكد من هذه الرؤية وبعد تردد نام الوزير وجاء الرجل الطول النبيل للوزير في حلمه ولكنه لم يوبخه أو يوجه له اللوم وإنما لطمه على وجهه مؤدباً ومهدداً.

وقام الوزير مذعوراً ووافق في الحال على الغزو الذي تم بسهولة.

^{١١} - العلم وتفسير الأحلام - ص ٢٠ - ٢١.

تانو تأمون واللوحة المسماة الحلم:

من محفوظات المتحف المصري لوحة من الجرانيت الرمادي مقاسها ١٣٢ × ٧٢ سم تسمى لوحة الحلم، وقد نشر منها أكثر من مرة أدقها ما نشره الألماني شيفر، ويرجع تاريخ هذه اللوحة إلى العصر الكوشي عندما كان الوجه القبلي يحكمه أمراء تعينهم آشور، وبالتحديد في عهد (تانو تأمون) الذي حكم قبل بدء عصر الأسرة الخامسة والعشرين التي تبدأ بحكم الملك بسميتك الأول.

تقول اللوحة: "إن الملك (تانو تأمون) في السنة التي توج فيها ملكاً رأى في منامه ثعبانين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاستيقظ مرتاعاً ولكنه لم يجدهما، واستدعى الملك الكهان وروى لهم الحلم مستفسراً عن تأويله فقالوا له: إن أرض الجنوب ستكون لك وستستولي على أرض الشمال وتملك الأرض طولاً وعرضاً ولا يقاسمك فيها أحد".

ودخل الملك بتأثير هذه النبوءة عليه في حروب طويلة ليحقق نبوءته بعد هذه الحروب التي راح فيها - حسب نص اللوحة - في مدينة منف وحدها عدد من أعدائه يجلب عن الحصر.

وتوج الملك على جثث الضحايا^(١١٢)!!

كريسيوس، نبوءات أم لعنات؟:

كريسيوس ملك إغريقي تعرفت إليه على صفحات تاريخ هيرودوت فوجدت كل الخطوات الهامة في حياته تحركها رؤى منامية أو نصائح متنبئين وكلها نذر شر وقعت كما رآها أو حذر منها، وأول النبوءات التي أصابته كانت نبوءة رآها بنفسه في حلم:

كان كريسيوس ملكاً إغريقياً له ولدان أحدهما مريض أخرس والآخر متفوق في كل شيء وكان أبوه يعدده ليكون ساعده الأيمن في مواجهة أعباء الحكم الثقيلة ثم ليكون خليفة بعد موته، وبعد أن بلغ ابنه أشده رأى في منامه أن ابنه هذا يُقتل بسلاح حديدي، وكانت الرؤيا واضحة عالقة بذاكرته مما جعله يتوجس من تحققها.

أخفى الملك أمر الرؤيا وقرر أن يزوج ابنه ليسهل له إبعاده عن أي مجال يكون فيه سلاح وحرب أملاً في إبعاد شبح النبوءة عنه، وبعد قليل جاءت الرسل من أطراف المملكة بظهور خنازير برية متوحشة تهلك الزرع وتهاجم البشر وتعال الصيحات يحملها البريد إلى الملك تطلب منه النجدة.

جهز الملك قوة صغيرة لحل هذه المشكلة وطلب إلى قائدها تكتم الأمر عن الأمير الشاب متعللاً بأنه زوج منذ عهد قريب ولا يريد أن يثقل كاهله بمهمة من هذا النوع في ذلك الوقت، ولكن الخبر تسرب إلى الأمير الذي ثار وغضب لأن أباه ينظر إليه باستهانة ويعتبره جباناً لا يصلح لمهام عنيفة، وأمام ثورة الابن اضطر كريسيوس إلى أن يروي له قصة الحلم.

فقال له الفتى: "لقد رأيت موتي بقطعة من حديد ولو رأيت أنني أموت بناب وحش

أو مخلب خنزير لكان خوفك مفهوماً وألح على أبيه حتى أقنعه برأيه، فقال له كريسيوس:

يا بني إن تفسيرك للحلم لأصح من تفسيري وقد عدلت عن رأيي وأذنت لك في الذهاب".

ووصلت الحملة الصغيرة إلى مكائها وحاصرت الخنازير وبدأت في رشقها بالسهم الحديدية، وأصيب الأمير بسهم طائش أودى بحياته كما رأى كريسيوس في منامه.

وبدأ الملك بعد مدة في التغلب على حزنه وبدأ في محاولة علاج ابنه المريض بكل وسيلة وأرسل إلى المتنبيين يستطلع مستقبله فأخبره أحدهم أن ابنه سيشفى من الخرس ولكنه حين ينطق فإن ذلك سيكون نذير شؤم إذ سيقتل أبوه في اليوم نفسه.

بدأ كريسيوس يستطلع المنجمين والكهانة قبل كل خطوة وفكر في غزو فارس فأرسل إلى كاهنة (دلفي) فأخبرته أن هذا الغزو سيسفر عن تحطم مملكة دون أن تحدد صاحب هذا المصير الفاجع وخرج كريسيوس لغزو فارس وهو يحمل في داخله رعباً ممن النبوءتين، وبعد عدة جولات هزم هزيمة ثقيلة حتى كاد يقتل، عندما رآه ابنه الأخرس تمكن من النطق فعرف كريسيوس أن نهايته قد حلت وأنه كان المقصود من نبوءة الكاهنة.^(١١٣)

وهكذا أصبحت النبوءات في حياة هذا الملك كاللعنات!!

لويس الثالث عشر يتنبأ:

في بداية عام ١٦٤٣ كانت فرنسا مهددة بالغزو، وكان لويس الثالث عشر يصارع مرضاً عضالاً ما لبث أن تُوفي بنتيجته، وقد حدثت حادثة طريفة حوالي الساعة العاشرة ليلاً

^{١١٣} - تاريخ هيرودوت - مرجع سابق - ج١ - ص ٢٥ وما بعدها.

في العاشر من مايو بالضبط، فقد فتح لويس الثالث عشر عينيه وهو الذي كان في الترع الأخير ويعاني من حمى شديدة، ولاحظ عند محدته أمير كوندي يتقدم، ومع أن الملك كان منهزماً ويتنفس بصعوبة كلمة بهذه اللغة الخارقة قائلاً: "كنت أحلم أن ابنك دوق أنغميين اشتبك مع الأعداء، كانت المعركة قاسية جداً ومحتدمة وقد تأرجح النصر طويلاً لكنه بقي معقوداً لجماعتنا الذين ظلوا أسياداً في ساحة المعركة".

ومات الملك في الغد بعد أن تلفظ بهذه النبوءة التي لم تلاق في البداية غير عديدي التصديق وبخاصة أن الطفل الذي تنبأ له بهذا المستقبل كان من الهوغونوت (البروتستانت) حيث كانت فرنسا كاثوليكية تعتبرهم ضالين.

ولم تمر أيام حتى اشتعلت المعارك بين فرنسا وإسبانيا، وبعد سنوات وعندما بلغ هذا الجنرال اليافع سن الثالثة والعشرين استطاع إسقاط سلاح المشاة الإسباني الذي قال عنه المؤرخون: "إنه الأكثر جسارة والأشد حمية"، وأصبح هذا الجنرال الشجاع فيما بعد لويس الرابع عشر.^(١٤)

حامل الكفن أنقذ اللورد:

من بين تجارب الخروج من الزمن والإبحار في المستقبل تحتفظ بعض الحالات بمصادقية خاصة تتبع من مكانة أصحابها حيث يستبعد عليهم إلى حد كبير أن ينساقوا وراء الخيالات أو شهوة التهويل التي عادة ما تصاحب رواية هذه التجارب عند العامة، ومن هذه التجارب

^{١٤} - نبوءات نوستراداموس - دكتور دوفونرون - ص ١٠٠ - ١٠١.

ما حدث للورد دوفرين السفير البريطاني في باريس، فهذا الرجل عمل كحاكم عام لكندا ونائباً للملك في الهند وسفيراً لبلاده في روما وموسكو، وكان طوال حياته ينكر بشدة كل ما يتصل بما وراء الطبيعة حتى صيف ١٨٨٨.

في صيف هذا العام قبل اللورد صديق له للتزول عليه في قصره بريف أيرلندا، وفي مساء ١٤ يونيو ذهب إلى فراشه فمنعه الأرق من النوم، فلم ينل إلا إغفاءة قصيرة عند منتصف الليل واستيقظ فجأة ليجد تغييراً طرأ على جو الغرفة وكأنه مشحون بالكهرباء.

سمع لورد دوفرين الواقعة في مفكرته اليومية واستفسر من مضيفه عن الأمر فلم يجد إجابة، وتلاشت تفاصيل الحادثة من ذاكرة الرجل وبقي الوجه الكريه محفوراً في ذاكرته بكل حدة.

في عام ١٨٩٨ وبعد عشر سنوات كان اللورد يحضر حفلاً لرجال السلك الدبلوماسي في فندق جراند أوتيل ووقف جمع من السفراء بينهم اللورد أمام باب المصعد لحضور الحفل وما أن فتح باب المصعد حتى تجمد اللورد في مكانه وظهر عليه الاضطراب واعتذر عن ركوب المصعد واستند على سكرتيه الذي أجلسه على مقعد قريب وكان السبب الذي أصابه بهذا الاضطراب هو عامل الأسانسير الذي كان نفس الرجل ذو الوجه القبيح الذي رآه منذ عشر سنوات.

تجاوز اللورد دهشته واضطرابه، وتوجه إلى مدير الفندق مصراً على معرفة هوية عامل الأسانسير، وقبل أن يجيب مدير الفندق عن تساؤل اللورد سمع صوت ارتطام رهيب لم يكن إلا صوت سقوط المصعد من الدور الخامس ليودي بحياة ١٢ شخصاً من بينهم عامل المصعد

الذي تبين فيما بعد أنه لم يكن من عمال الفندق، وكان اللورد دفرين واثقاً أنه رأى شبح هذا الرجل منذ عشر سنوات وهو لم يزل حياً.^(١٥) !!!

لورد آخر ونبوء هندية:

في ٤ يونيو ١٩١٩ كان اللورد كتشنر وزير الحربية البريطاني سيبحر في اليوم التالي إلى روسيا على ظهر الطراد هامبشير لإجراء بعض المشاورات السياسية، وكان اللورد قد تنبأ له فقير هندي بالموت بشكل مزدوج في الماء والنار وكانت سنوات إقامة كتشنر الطويلة بالشرق قد أكسبته إحساساً غامضاً بضربات القدر وكان دائم القول: "أنا أكره البحر"، والمثير أن الملكة الكسندرا أرملة الملك إدوارد السالف ووالده الملك جورج الخامس قد تنبأت بنهاية اللورد في هذه الرحلة.

كانت الظروف غير ملائمة على الإطلاق لإتمام الرحلة فالغواصات الألمانية تسعى بغزارة في بحر الشمال بل شوهدت الغواصات الألمانية تحوم في المنطقة قبل ساعات ولم تكن الظروف الجوية تمت بصلة للطقس الصيفي بل وصل سوءه إلى حد العواصف، ورغم كل هذه الاعتبارات أصر اللورد على القيام برحلته.

وبعد ساعات من بداية الرحلة أذيعت أنباء الفاجعة في جميع أنحاء العالم بسبب إصابته بطوريبند ونجا من كل ركابه عشرة أشخاص فقط؟ أما كتشنر فلم يعثر عليه أحد، ثم انتشرت

^{١٥} - ٣٠ ظاهرة خارقة حيرت العلماء - راجي عنايت - دار الشروق - مصر - ص

شائعة تقول إن جثته انتشلت بواسطة مجموعة من الصيادين على الشاطئ النرويجي وقرر المسؤولون إغلاق هذا الموضوع.

وبعد عشرة أعوام ثارت المسألة بشكل حماس عندما استطاع أحد الصحفيين استصدار أمر بفتح المقبرة بعد إثباته أنها بالفعل مقبرة اللورد كتنشر، وبالفعل جرى نقل النعش إلى لندن تحت حراسة مشددة من اسكتلنديارد وحفظ في مشرحة لحين فحص الجثة.

وفي حضور مندوب القضاء والشرطة والعالم الباثولوجي الشهير سير برنارد سيلزبوري جرى فتح النعش الذي كان خالياً تماماً!!! ولم يستطع أحد أن يقدم تفسيراً رسمياً لاختفاء الجثة ولم يصدر تكذيب رسمي لها قيل من أن ثلاثة ضباط من ذوي الرتب العالية جاؤوا إلى المشرحة وأخرجوا الجثة وأحرقوها، وإذا صحت هذه الرواية، فيكون اللورد قد مات بالماء والنار(١١٦)!!!

سيدي قائد البحرية: رأيت حلما هاما:

الحرب سيمفونية تشترك في أدائها أفرع عديدة تنسق بينها القيادة التي تعمل على جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات العسكرية وغير العسكرية وهي كذلك تجربة اجتماعية للمجتمع والفرد تشحذ في كل منهما أقصى الطاقات وتستخرج الكوامن التي لا يمكن أن تظهر في الظروف العادية، وكما يمكن أن تقرأ عن اهتمام فرعون من فراعنة مصر أو ملك من

ملوك بابل بحلم رآه، أو روي له، ستقرأ في السطور التالية قصة حلم كان له أثر كبير على مجريات الحرب العالمية الأولى:

في بداية الحرب العالمية الأولى كانت بريطانيا على شفير كارثة برية وبحرية وكانت القوارب الألمانية مصدر خطر ورعب قاتل للبحرية البريطانية، وفي الأسبوع الأول من سبتمبر تلقى مكتب اللورد فيشر قائد البحرية البريطانية خطاباً من الممرضة سارة موريس تحكي له فيه حلماً رآته في منامها.

رأت الممرضة في منامها حيتاناً تحمل قلاعاً فوق ظهورها وتدور حول جسر (فيرث أوف فورث) ورغم أنها لم تر هذا الجسر بعينيها إلا أنها كانت قد رأت صوراً له فتعرفت عليه وتأكدت من ذلك بتكرر الحلم لليلتين متوليتين، وقد أثار الحلم اهتمام المسؤول عن دفاعات منطقة الجسر.

كان هذا الجسر ممراً حيوياً هاماً لنقل الإمدادات إلى قوات الأطلنطي البريطانية وإلحاق الضرر بهذا الجسر كان كفيلاً بترجيح كفة الألمان لأن سيؤدي إلى عزل قطاع كامل من القوات البريطانية وجعله بلا إمدادات، وعلى الفور انتبه الرجل إلى ضرورة تأمين الجسر فأمر بحماية دعائمه من قذائف الغواصات الألمانية بإحاطتها بصبات خرسانية وفي ظرف أسبوع كانت العملية على وشك الانتهاء.

وفي ٧ أكتوبر ١٩١٤ عندما كانت المدمرة فيرليس تبخر بالقرب من (فيرث أوف فورث) أبلغت عن مشاهدة غواصتين ألمانيتين بعد عبورها للجسر، وشاهدت المدمرة بعد ذلك انطلاق ثلاثة طوربيدات من الغواصتين تستهدف دعائم الجسر، واستطاعت فيرليس أن تغرق الغواصتين.

وبذلك تحقق حلم سارة موريس ونجا الجسر (١١٧)!!

رأت الحادث قبل وقوعه بأيام:

هبطت الطائرة مقتربة من سطح الماء ومن ممر الهبوط على الساحل، وقبل أن تصل إلى الممر ارتطمت بسطح الماء واختل توازنها، وضربت الأرض بأحد جناحيها ثم تحولت إلى كتلة من اللهب، هكذا وقع الحادث كما رآته السيدة جون واليك في منامها.

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة من صباح ٢٦ يناير ١٩٦٢ ولم تستطع السيدة أن تطرد الهواجس من خاطرها لسببين الأول أن الحلم كان واضحاً وحيّاً بشكل غير عادي، والثاني أن الطائرة التي رآها في منامها هي من النوع الذي يعمل زوجها ملاحاً عليه.

اتصلت السيدة بالشركة فأخبروها أن الأمور على ما يرام ولا توجد بلاغات عن حوادث، وفي يوم ٤ فبراير نُشر في جرائد لونغ بيتش - حيث تقيم - خبراً عنوانه: "زوجة تنبأ بتحطم الطائرة في حلمها" فقد عاودت الاتصال بشركة الطيران ليخبروها أن الطائرة تحطمت وأمكن إنقاذ زوجها ضمن أربعة من طاقم الطائرة التي رأت تحطمها قبل أن يحدث بخمسة أيام (١١٨)!!!

^{١١٧} - المرجع السابق - ص ١٠٧ - ١٠٩.

^{١١٨} - ٣٠ ظاهرة خارقة حيرت العلماء - مرجع سابق - ص ١١٧ - ١١٩.

حكم بالاعدام ولكن:

في مساء ١٤ نوفمبر ١٨٨٤ عشر على عانس عجوز تدعى إيمان آن كيز مقتولة في حجرة الكرار وقد ذبحت بسكين البستاني الذي يعمل عندها، وكان ينام في حجرة مجاورة لحجرة الخزين التي عثرت فيها على الجثة، وفي ٤ يناير ١٨٨٥ عقدت محاكمة للبستاني في اكسترا، وظهر من إجراءات المحاكمة أن الآنسة كيز كانت قاسية على من يعملون عندها، وتفرض عليهم العمل الشاق مقابل أجنس الأجور، وكانت قبل مقتلها قد أخبرت البستاني أنها ستخفض راتبه، وقد نظرت المحكمة إلى هذا باعتباره الدافع المباشر للجريمة.

حكمت المحكمة على البستاني جون لي بالإعدام، واقتيد إلى السجن ينتظر تنفيذ الحكم فيه، وفي السجن وبالتحديد يوم ٢٣ فبراير قام من نومه وقص على حارسه تفاصيل حلم رآه في نومه، قال الحارس صمويل بنيت: "رأيت في منامي أنني أفاد إلى حديقة صغيرة تنصب وسطها مشنقة، ثم أدفع لصعود درجات المشنقة... ثم وضع غطاء على رأسي، وأدخل حبل المشنقة في عنقي وسمعت منفذ الحكم يدفع الرافعة وأحسست بالترباس يتحرك تحت قدمي لكن الباب الذي أسفلي لم يفتح".

في اليوم نفسه اقتيد جون إلى المشنقة التي كانت فعلاً في حديقة صغيرة داخل السجن ولكنها كانت في مكان لا يتاح للسجناء رؤيته من زرنانهم بل لم يكن يعرف أساساً أن هناك حديقة في السجن، دفع جون إلى المشنقة ووضع الحبل حول رقبته، ووضع قناع على وجهه ودفع الضابط الرافعة ليسقط جون في بئر عميق، ولكن جون لم يسقط، وبهت الحاضرون جميعاً وهم لا يفهمون ما حدث وأعيدت التجربة مرة أخرى بنفس النتيجة،

واختبرت المشنقة مرات فكانت تعمل بشكل طبيعي، وفي المرة الثالثة تكلم من خلف قناعه قائلاً: "لن تتمكنوا من إعدامي فالله يعلم إنني بريء".

وانهمرت الدموع من عيني القسيس الذي كان يحضر تنفيذ الحكم وقال برجاء: "هذه إرادة الله، لا يجب أن تحاولوا إعدام هذا الفتى مرة أخرى".

وأعيد جون إلى الزنزانة وكتب الضابط تقريراً مفصلاً ورفعته إلى السلطات الأعلى وتم تخفيف الحكم من الإعدام إلى السجن المؤبد، وأمضى جون عشرين عاماً في السجن ثم عاش بعد ذلك خمسة عشر عاماً حتى مات بشكل طبيعي عام ١٩٢٠. (١١٩)

الفصل الثالث عشر

من الخرافة إلى العلم

في سنة ١٧٣٥ صدر في إنجلترا قانون يعتبر الاشتغال بالروحية شعوزة يستحق فاعلوها العقوبة من الدولة، وفي عام ١٨٢٤ صدر قانون اقتصر على الوسطاء الروحانيين ومساعدتهم واعتبرهم متشردين لا عمل لهم، ولكن مجلس العموم البريطاني ألغى هذين القانونين بإجماع الآراء.

ونخصت حركة الدراسات الروحية في النصف الثاني من القرن الماضي حتى تم تأسيس جمعية المباحث الروحية سنة ١٨٨٢ في لوندرة، بعد أن كان المذهب المادي قد أوغل وأخذ يعلن أنه ليس هناك سوى العالم المنظور، ولا شيء سوى المادة ولا مكان للروح في هذا الوجود.

وقد جاء في كتاب: "الشخصية الإنسانية" للعلامة هـ. و. ميرسي مدرس السيكولوجيا بجامعة كمبردج أن مجموعة من الزملاء اجتمعوا سنة ١٨٧٣ وأجمعوا على ضرورة بذل جهود جادة في مجال المباحث الروحية عن طريق التجربة والمشاهدة وأن تؤسس على البحث العلمي بالمعنى الدقيق بإجراء تجارب يمكن تكرارها.

وقد جمعت الجمعية من التجارب الروحية ما وقع في نحو ٥٤ مجلداً، كتب عنها وليم جيمس (١٢٠) في كتابه "إرادة الاعتقاد" قائلاً: "هذه الجمعية في إنجلترا وأميركا سمحت بأن يلتقي العالمان العلمي والروحي في مجال واحد وسوف يكون لها نصيب كبير في ترتيب المعارف الإنسانية".

وكان الرأي العام قد حمل الجمع العلمي الإنجليزي - قبل أنت تتألف هذه الجمعية - على تأليف لجنة لفحص الظواهر الروحية وتمحيصها فندبت ٣٣ علماً من أعلامها لهذه المهمة العلمية، وبذلوا في تحقيق هذا الموضوع ١٨ شهراً ثم حرروا تقريراً إجماعياً وقع في ٥١٤ صفحة وطبع بأكثر من لغة حية.

وقد جاء في ختامه ما نصه: "اكتفت اللجنة بذكر المشاهدات التي كانت مدركة بالحواس وحقيقتها مستندة إلى الدليل القاطع وقد اقتنعت اللجنة - التي بدأت عملها بإنكار صحة هذه الظواهر بشدة - أم مشاهداتها خلال البحث هي مشاهدات حقة لا غبار عليها".

وكان لهذا التقرير أثر علمي فاهتم العلماء في كل مكان ببحث هذه الخوارق وتألفت مئات الجمعيات لذلك وصدرت المجلات الروحية وأقيمت خمس مؤتمرات عالمية في لوندرة

١٢٠ - وليم جيمس: مدرس علم النفس بجامعة هارفارد، ويعد من أهم علماء النفس في القرن الـ ١٩، وتلميذه وليم مكدوجال أستاذ علم النفس بجامعة ديوك وعمدة علم النفس الاجتماعي وأحد أهم علماء النفس في القرن العشرين.

وباريس^(١٢١)، وإن ظل بعض العلماء يخشى أن يتهم بالشعوذة إذا أعلن اقتناعه بهذه الظواهر ولكنه امتنع عن نشرها وقال : "إن عائلي تريد طعاماً"^(١٢٢).

الدكتور راين في المعمل:

ذلك ما كانت عليه مرحلة التعليم بالناحية الروحية إلى أواخر العقد الثاني من القرن العشرين حتى إذا استشارت هذه المباحث عقل وليم مكدوجل ورأى ندرة الأفراد الذين يتمتعون بهذه القدرات، فطلب من صديقه الدكتور راين وكان أستاذاً للنبات وعضواً بجمعية المباحث الروحية أن ينظم فريق في بحث علمي تجريبي خاضع للاشتراطات العلمية.

ثم أنشأ مكدوجل معامل الباراسيكولوجي أو "ما وراء علم النفس" بجامعة ديوك بولاية كارولينا الشمالية ودخل راين وزوجته أستاذة علم النبات المعمل وبدؤوا في أوائل العقد الثالث من هذا القرن يوالون أبحاثهم التجريبية.^(١٢٣)

والطريف أن الدكتور راين نفسه قد بدأ سعيه لإنشاء قسم الباراسيكولوجي في جامعة ديوك بعد أن رأى حلماً ذا تفاصيل عجيبة دقيقة تحقق في الخارج بحذافيره، وربما كان هذا هو السبب في اختيار الطريق الذي اختارته جمعيات المباحث النفسية، فبينما كانت الجمعيات تهتم

^{١٢١} - حقيقة الإنسان - الدكتور عيسى عبده - أحمد اسماعيل يحيى - الكتاب الثاني - دار

المعارف - ط ٢ - ١٩٨٨ - ص ٢١ - ٢٢.

^{١٢٢} - مجلة المعارف - المجلد الأول - عدد ٩ - سبتمبر ١٩٩١ - ص ١٣.

^{١٢٣} - حقيقة الإنسان - مرجع سابق - ص ٢٠٣.

بذوي المواهب الخارقة وحدهم، اهتم هو بفحص الفرد العادي للمعرفة ما لديه من قوة خارقة، وقد أثبتت تجاربه أن الإنسان يملك في الغالب قدرة على الحدس بمعدل يفوق معدل الصدفة قليلاً أو كثيراً^(١٢٤).

وكانت نتائج التجارب بالتفصيل كما يلي:

- ١ - درس راين ومعاونوه ظاهرة انتقال الأفكار وأثبتوا وجودها علمياً.
 - ٢ - درسوا ظاهرة الاستشفاف والجلء البصري وهي الإحساس بالحوادث التي تحدث على مسافات بعيدة وأثبتوا وجودها.
 - ٣ - أثبتوا أن انتقال الفكر والجلء البصري مظهران لظاهرة واحدة أطلقوا عليها اسم التخاطر (الإدراك خارج الحواس).
 - ٤ - أثبتوا أن ظاهرة الإدراك خارج الحواس لا تخضع للرقابة المكانية والزمانية.
 - ٥ - أثبتوا أن العقل يستطيع أن يحس ويتأثر بالمادة عن طريق الإدراك خارج الحواس، وكذلك يستطيع التأثير فيها بطاقة سموها: الطاقة النفسانية المحركة، أي أن العقل يؤثر في المادة دون أي اتصال مباشر.
 - ٦ - أن ما سبق دليل على وجود شق في الشخصية الإنسانية لا يخضع لقوانين الطبيعة المعروفة أي شق روحي.
- (^{١٢٥})
- وأثارت تجارب الدكتور راين ضجة علمية كبيرة في أمريكا كان من آثارها أن عُقد مؤتمر الإحصاء في أميركا وناقش الناحية الإحصائية من أبحاثه ثم أذاع البيان التالي:

^{١٢٤} - المعارف - مرجع سابق - ص ١٢ - ١٣.

^{١٢٥} - حقيقة الإنسان - حقيقة الإنسان - الدكتور عيسى عبده - أحمد اسماعيل يحيى -

الكتاب الثاني - دار المعارف - مصر - ط ٢ - ١٩٨٨ - ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

"إن أبحاث راين لها ناحيتان: تجريبية وإحصائية، والرياضيون لا يستطيعون أن يقولوا شيئاً عن الجانب التجريبي منها، أما الناحية الإحصائية فقد أظهرت الأبحاث الرياضية الحديثة أن الجانب الإحصائي فيها صحيح وإذا كان من الممكن أن تهاجم أبحاث راين فإنها ينبغي أن تهاجم من ناحية أخرى غير الناحية الرياضية". (١٢٦)

وقد أصبحت هذه النتائج في موقف علمي فوق النقد أو الجدل بعد أن كانت النتائج التجريبية فيها قد عرضت على مؤتمر علم النفس في أمريكا. (١٢٧)

أعلام في الميدان:

فرضت الظواهر الروحانية نفسها على ثقافة العصر واستقطبت اهتمام عدد ضخم من العلماء والفلاسفة والمفكرين في شتى أقطار الغرب وقد آثرنا أن نذكر بعضاً من هؤلاء العلماء والمبدعين الأعلام:

عضو الجمعية العلمية الملكية البريطانية	سير أوليفر لودج
عضو الجمعية العلمية الملكية البريطانية	وليم كروكس
عضو الجمعية العلمية الملكية البريطانية	ألفرد راسل والاس
عالم نفس شهير، تتلمذ على يديه مكدوجل،	وليم جيمس

١٢٦ - مجلة المعارف - مرجع سابق - ص ١٣

١٢٧ - حقيقة الإنسان - حقيقة الإنسان - الدكتور عيسى عبده - أحمد اسماعيل يحيى -

الكتاب الثاني - دار المعارف - ط ٢ - ١٩٨٨ - ص ٢٠٥.

أستاذ بجامعة هارفارد ومديرها فيما بعد	
أستاذ بجامعة هارفارد	تشارلز أليوت نورثون
أستاذ علم النفس والفلسفة بجامعة بنسلفانيا	وليم ليوبولد
أستاذ علم النفس الشهير	وليم مكدوجل
رئيس المحكمة العليا بنيويورك ورئيس مجلس الشيوخ الأمريكي	القاضي جون ورث آدموندر
أبراهام لنكولن	الرئيس الأمريكي
المخترع العظيم	توماس أديسون
عالم الراديو الشهير	بيير كوري
الأديب الفرنسي الشهير	فيكتور هوجو
الفيلسوف الفرنسي الشهير	بلزاك
تلميذ باستير ومدير معهد باستير بنيويورك	بول جيبيه
أستاذ الفسيولوجي بطب باريس والحاصل على جائزة نوبل في العلم سنة ١٩١٣	شارل ريشن

إلى جانب العشرات من أساتذة الجامعات في مختلف التخصصات وأعضاء الجمع العلمية والشخصيات العامة التي أعلنت اهتمامها بالظاهرة وشاركت في إجراء البحوث عليها فترة كانت أحوج ما تكون إلى الأنصار المخلصين.^(١٢٨)

^{١٢٨} - الروح والخلود بين العلم والفلسفة - دار المعارف - سلسلة اقرأ رقم ٣٢٦ -

تأليف عبد العزيز جادو - به معلومات تفصيلية عن تاريخ أعلام هذا الميدان.

وكما أحدث الدكتور راين طفرة بأبحاثه حدثت طفرة أخرى أكثر إثارة بعد سنوات

قليلة !!

obeyikandi.com

الفصل الرابع عشر

حصاد التجارب العملية

تناولت التجارب العملية خمس مجموعات من القدرات الخارقة التي يعتقد أنها تكمن وراء الوقائع فوق العادية المعروفة وهي: التخاطر، والاستشفاف، والتحرك النفسي، والتنبؤ، والاتصال بالموتى، وكانت المشكلة الملحة على العلماء هي الإجابة عن السؤال التالي: هل هذه القوى يملكها البشر جميعاً أم أنها قاصرة على قلة مختارة؟

ورغم أن أبحاث الدكتور راين اهتمت بالإجابة عن هذا السؤال بالتحديد فإن الأبحاث استمرت في نفس الاتجاه بدوافع متعددة كان منها بالطبع محاولة التشكيك في نتائج أبحاث دكتور راين بتجارب أخرى بعد أن حازت بالإجماع إقرار علماء الإحصاء وعلماء النفس.

أولاً: التخاطر:

بينت دراسة الوقائع التلقائية أنه توجد قلة من الناس وهبت قوة التخاطر، ولو أنه في ظل ظروف الهدوء والشدة يستطيع الكثير من الناس أن يصبحوا شديدي الحساسية للآخرين ممن تربطهم بهم صلات انفعالية وثيقة، وهذه الحالات الكثيرة هي التي أدت إلى إطلاق اسم التخاطر على تلك القدرة، إذ إنها تعني نقل أو توصيل المعاناة أو المشاعر.

فقد كانت فتاة صغيرة تبلغ حوالي العاشرة تسير في إحدى طرقات المدينة وهي تقرأ في كتاب، وفجأة بدا لها أن كل ما يحيط بها قد تلاشى ورأت أمها وقد استلقت على الأرض

وبجانبتها منديل حريري في إحدى غرف المتزل، فانزعجت لتلك الرؤية انزعاجاً شديداً وبدلاً من أن تجري إلى المتزل أسرع إلى منزل طبيب وأقنعتة بالذهاب معها للمتزل، وهناك وجد الأم ملقاة على الأرض في الغرفة نفسها وبجانبتها المنديل الحريري وهي تعاني من أزمة قلبية حادة وتمكن الطبيب من إنقاذها. (١٢٩)

وقد أجرى الكاتب المشهور أتبون سنكلر وكان مادياً لا يؤمن بالروح - تجارب على التلباثي (التخاطر) بينه وبين زوجته على ملاء من الشهود وبلغ عدد التجارب ٢٩٠ تجربة نجح منها نجاحاً تاماً ٢٣ % ونجح نجاحاً جزئياً ٥٣ % وفشل فشلاً تاماً ٢٤ % (١٣٠).

ويعتبر أول اختبار دقيق لوجود التخاطر هو الاختبار الذي أجراه الدكتور كوفر عالم النفس بجامعة ستانفورد خلال الحرب العالمية الأولى فاستخدم مجموعة من أوراق اللعب استبعد منها الصور بحيث تكونت ٤٠ ورقة وجعل مرسل المعلومات (الذي سيقوم بالتخاطر) ينظر إلى ورقة ما بينما يقوم المستقبل بتخمين الرقم المكتوب عليها، واستخدم كوفر في هذه التجربة مائة مرسل ومائة مستقبل كل منهما في غرفة منفصلة وبلغ عدد التخمينات عشرة آلاف وجعل نصف التخمينات يتم أثناء نظر المرسل إلى الورقة.

وكانت التخمينات الصحيحة ٢٩٤ من عشرة آلاف وكان المتوقع وفق قاعدة الصدفة ٢٥٠ (١٣١).

١٢٩ - عقول المستقبل - جون ج تايلور - ترجمة دكتور لطفي فطيم - سلسلة عالم المعرفة

- ص ١٩٧.

١٣٠ - الله - عباس محمود العقاد - ص ٤٤ - دار المعارف - مصر - ط ٣.

وأجرى كل من الآنسة إنيا جفسون، ت بسترمان، والدكتور شاول عام ١٩٢٩ اختباراً للاستشفاف تضمن إرسال مظاريف مغلقة يحتوي كل منها ورقة لعب إلى حوالي ٦٠٠ شخص وطلب من كل واحد أن يخمن ما بداخل المظروف وبلغ عدد التخمينات المسجلة حوالي ١٠ آلاف وكانت النتائج قريبة من حدود الصدفة.

ومن التجارب الملفتة تجربة الدكتور شاول ومسز ستيورات حيث استخدم عدداً من الناس لنقل صور ذهنية للسيدة ستيورات ونجحت في استقبال رسائل معظمهم وكانت الرسائل تحوي صوراً ملونة لأسد أو فيل أو حمار وحشي وهكذا، وكان المرسل يجلس في غرفة مجاورة لغرفتها وبينهما باب مغلق وتوضع الأوراق عشوائياً أمام المرسل الذي يختار واحدة منها وتكتب مسز ستيورات ما تظن أنه مرسوم فيها ثم تعاد التجربة بعد تفنيط الورق. ومن بين ٧٣.١٠٠ محاولة نجحت مسز ستيورات في ٢٠٠٠ محاولة زيادة على النجاح المتوقع وفقاً للصدفة.

وأورد الأستاذ جاردز مور حالة لإحدى الطالبات التي تمكنت من تخمين أول ١٥ ورقة من مجموعة أوراق اللعب عددها ٢٥ ورقة ينظر إليها شخص في غرفة مجاورة وكانت نسبة حدوث ذلك بالصدفة ١ : ٣٠ مليون وقد حدثت نجاحات أخرى ولكن بدرجة أقل عندما كان الاتصال التخاطري عبر مسافات بعيدة، وإن كان بُعد المسافة ليس سبباً مؤكداً

١٣١ - عقول المستقبل - جون ج. تايلور - ترجمة: دكتور لطفي فطيم - سلسلة عالم المعرفة

لتغير نسبة النجاح فتجارب مدام ستيوارت لم تقل نسبة نجاحها عندما زادت المسافة بينها وبين المرسل إلى ٢٠٠ ميل.^(١٣٢)

الاستشفاف:

لقد وجدت حالات عديدة من الاستشفاف التلقائي لأشخاص ذوي قدرات خاصة مثال ذلك جيرارد كروازيت الذي كثيراً ما ساعد في إيجاد الأطفال المفقودين وبيتر هوركس وكلاهما من هولندا وكان نجاحهما كبيراً.

ولقد أجرى الدكتور برات في معمل الدكتور راين تجربة كان المفحوص فيها يدعي هيوبرت برس وقد حاول أن يخمن ترتيب الأوراق في مجموعة من البطاقات يبلغ عددها ٢٥ بطاقة لم ينظر إليها أحد بعد تفنيطها، وكان موجوداً في غرفة تبعد ٣٠٠ قدم على الأقل عن الغرفة التي توجد فيها البطاقات وتمكن من النجاح في ٥٥٨ محاولة من المحاولات التي بلغت ٢٠٠٠ محاولة وكان احتمال النجاح بطريقة الصدفة هو ١٠ - ٢٦ إلى واحد.

وحصلت الدكتورة دوروثي مارتن في جامعة كلورادو على نتائج مشابهة فقد جعلت ٣٩ شخصاً يقومون بمحاولات بلغت ٧٦ ألف محاولة وكانت لا تجعل أحداً يرى البطاقات إلا بعد أن ينتهي المفحوص من تخمين البطاقات كلها وبلغ مقدار النجاح ٢٣% وكان احتمال الصدفة بعيداً جداً عن ذلك ويبلغ رقماً ضخماً.^(١٣٣)

^{١٣٢} - عقول المستقبل - جون ج تايلور - ص ١٩٧ - ٢٠٢.

^{١٣٣} - عقول المستقبل - ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

وأجرى الدكتور بوهاريش تجارب على المتنبي المشهور بيتر هوركس في معامل مؤسسة المائدة المستديرة التي أنشأها لدراسة الظواهر العقلية، وقد وصل الدكتور بوهاريش إلى نتائج لا يمكن الشك فيها إذ نجح بيتر هوركس في أربعة من كل خمسة اختبارات كان الباحثون يعطونه أشياء مختلفة داخل أظرف سمكة معتمة من ورق المانيلا، فراشة، دبوس شعر، زر، وأحياناً ورقة بيضاء، وكان قادراً على التعرف على محتويات الظرف بمجرد لمسه من الخارج.

التنبؤ:

تعتبر ظاهرة التنبؤ - ومعنى أشمل الخروج من الزمن - بمعرفة المستقبل أو الماضي ظاهر مثيرة لا بسبب أهميتها للحياة الإنسانية فحسب ولكن أيضاً لطبيعتها علاقتها بالزمن وهي تحدث في اليقظة والنام. وقد أجريت مجلة **الصنڊاي تايمز** البريطانية استفتاء حول الأحلام أجاب عنه ٢٥ ألف شخص رأى ٢٥% منهم أحلاماً استشرافية (مستقبلية) تحققت في المستقبل.^(١٣٤)

وهناك حالات مشهور لهذا النوع من التنبؤ منها ج.و. دن الذي حلم ذات ليلة في خريف سنة ١٩١٣ بأنه يطل من فوق رصيف عال للسكك الحديدية على مكان يعرفه يقع إلى الشمال من مدينة فورث بريدج ورأى تحته أرضاً مكشوفة مكسوة بالحشاش فوقها

^{١٣٤} عقول المستقبل - جون ج. تايلور - ترجمة: دكتور لطفي فطيم - ص ١٢١ - سلسلة

جماعات من الناس وتكررت رؤيته للمنظر عدة مرات ولكن في المرة الأخيرة لاحظ أن قطاراً متجهاً إلى الشمال قد خرج عن القضيب وسقط على الرصيف ورأى عدة عربات مقلوبة عند قاع المنحدر تتساقط فوقها كتل كبيرة من الأحجار، وفي يوم ١٤/٤/١٩١٤ قفز القطار المعروف باسم: "الأسكتلندي الطائر" من فوق القضبان وسقط على بُعد ١٥ ميلاً من فورث بريدج.^(١٣٥)

ويروي الكاتب الأمريكي الشهير كولن ويلسن تجارب لنماذج مماثلة منها مثلاً: أنه قدم عام ١٩٧٦ برنامجاً تليفزيونياً عن جون كودلي الذي سُمي فيما بعد لورد كولبراكن والذي اعتاد وهو لا يزال طالباً في جامعة أوكسفورد أن يرى في أحلامه الفائزين في سباق الخيل وجمع مبالغ طائلة من هذه القدرة الخارقة.

وليبتر فيرلي المراسل العلمي للتلفزيون المستقل (انديبنانت) تجربة مشاهة رواها للإذاعة البريطانية إذ سمع في مذياع سيارته أثناء اتجاهه إلى العمل في يوم من أيام ١٩٦٥ طلباً يذاع من أجل السيدة بلانكي وكان قد دخل بسيارته إلى قرية بلانكي وبعد وصوله إلى مكتبه سمع الاسم مرة أخرى وفي المرة الأخيرة كان حصاناً يجري في الدري بالاسم نفسه فرهن عليه وربح، ومنذ ذلك الحين كان يستطيع التقاط أسماء الراجين لمجرد النظر إلى القائمة.

وكذلك السيدة جين أونيل التي أورد قصتها في كتابه "أسرار" وقد شاهدت أثناء قيادتها السيارة حادثة بشعة وعاونت في إنقاذ أناس أصيبوا بإصابات خطيرة وكان الصدمة قاسية لدرجة أنها قضت عدة أسابيع بعيداً عن العمل وبدأت تعاني أثناء اليقظة رؤى عجيبة،

^{١٣٥} - عقول المستقبل - عقول المستقبل - جون ج. تايلور - ترجمة: دكتور لطفي فطيم -

مثل أنها رأت صديقاً حميماً مقيداً بالأغلال في سجن سفينة شراعية كبيرة ولما أخبرت صديقها أجاب بأن أسلافه كانوا من الهيجونوت (البروتستنت الفرنسيين) وأن كثيراً منهم وُجدوا في تلك السجون.

وحدث للسيدة نفسها موقف مثير عندما زارت إحدى الكنائس مع صديقة لها وبعد الزيارة أبدت لصديقتها تأثرها بصورة رأيها خلف المذبح فأخبرتها صديقتها أنه ليس ثمة أي صور خلف المذبح فاستبدت بها الحيرة حتى اتصلت بالمسئولة عن الكنيسة فأكدت أنها غير موجودة بل لم تكن هناك صورة في هذا المكان قبلاً، وقامت بزيارة أخرى مع صديقتها ففوجئت بأن الكنيسة مختلفة تماماً عن الزيارة الأولى فقد كانت أضيق كثيراً في الزيارة الأولى كما لم تجد الصورة، ولجأت السيدة إلى من عرفها بخير في التاريخ قال لها: إن الكنيسة كانت على النحو الذي رأيته في المرة الأولى قبل أن يعاد بناؤها بشكلها الحالي عام ١٥٥٣ أي قبل ٤٠٠ سنة.

وحالة أخرى لقس اسمه الشمس رأى في منامه بوضوح غريب منظرًا طبيعيًا في إيطاليا: طريق جبلي ... منزل أبيض .. امرأة تحيك ثوباً بالإبر الطويلة وابنتها تنظر حولها وثلاث رجال يرتدون ميدعات وقبعات مدبية يجلسون إلى مائدة ... وكلب نائم ... وثلاثة خراف في حقل كان المنظر مفصلاً وفي غاية الوضوح وبعد أعوام ثلاثة وكان في طريقه إلى روما توقفت عربته لاستبدال الجياد وهنا وجد نفسه يتطلع إلى نفس المشهد بكل تفاصيله الدقيقة. (١٣٦)

وقد أجريت تجارب كثيرة دقيقة على معرفة الغيب منها تجارب على تخمين أوراق اللعب، وفي هذه التجارب يقوم المفحوص بتخمين الأوراق التي ينظر إليه شخص آخر وكان نجاح المفحوص في تخمين الورقة التي تليها يحسب على أساس التخمينات التي قام بها حتى الانتهاء من فرز الأوراق، وكان أحد النجاحات الباهرة في مثل هذه التجارب ما أحرزه بازيلى شاكلتون بإشراف الدكتور شاول عام ١٩٤١، فقد حاول أن يخمن الورقة التي ينظر إليها شخص آخر واستطاع أن يحقق نسبة عالية من النجاح في معرفة الورقة التالية على الورق التي تكشف للناظرين فاستطاع مثلاً أن يحقق في ٣٦ مجموعة من ٢٥ تخميناً لا يمكن أن تتحقق بالصدفة إلى نسبة ١ - ١٠ ملايين.

واستخدمت طريقة أخرى لاختيار معرفة الغيب وهي جعل المفحوص يخمن ترتيب الأوراق قبل تفنيطها وقام بذلك هيربرت بيرس تحت إشراف البروفسور راين ولم يكن احتمال نجاحه بالصدفة إلى ١ - ١٠ ملايين.

وفي معهد الباراسيكولوجي بدير هام بولاية كارولينا استخدم هلموت شميدت مدير المعهد تحليل المواد المشعة ليكون بواسطتها أرقاماً عشوائية، أي أن العملية كانت أشبه بلعبة: "ملك أم كتابة؟" ولكنها إلكترونية وكان يطلب من المفحوصين أن يتنبؤوا أي وجه سيظهر واستطاع اثنان من المفحوصين إحراز نجاح كبير في سلسلة محاولات بلغت ٦ آلاف تخمين لكل واحد وكان احتمال إحراز هذه النتائج بالصدفة ١ - ١٠ ملايين.

وقد شوهدت القدرة على التنبؤ بالغيب لدى بعض الحيوانات كالقطط والفئران والصراصير وأجريت تجارب على الفئران عام ١٩٦٨ قام بها عالمان فرنسيان نشرا نتائج أبحاثهما بأسماء مستعارة لما قد يصيب سمعتهما العلمية، فقد وضعوا عدداً من الفئران في قفص

وقسما إلى نصفين وكان كل نصف يتلقى صدمة كهربائية على فترات وفقاً لنظام إلكتروني ثنائي عشوائي وكانت حركات الفئران تُلاحظ على شاشة ذات خلية ضوئية فوجداً أن الفئران استطاعت أن تتجنب الوجود في النصف الذي كان على وشك التكهرب وذلك بدرجة عالية وكان احتمال حدوث ذلك بالصدفة يصل إلى واحد في الألف. وتكررت تجارب مشاهدة على الصراخير في أمريكا أدت إلى نتائج أقوى وكانت احتمالات الصدفة فيها واحد إلى ثمانية آلاف. (١٣٧)

محاولات علمية لتفسير التنبؤ:

في منتصف القرن الماضي قدم الدكتور جوزيف رودس بوكاتان أستاذ الطب تفسيراً مقتضاه أن الأشياء لها تاريخ مطبوع على نحو ما كما تطبع الصورة الفوتوغرافية وأن هذا التاريخ يستطيع أن يقرأه شخص يتمتع بحساسية كافية لالتقاط الذبذبات وأطلق على هذا الاستعداد لفظ: "التكهن النفسي" ودخلت هذه الكلمة في مفردات البحث في الظواهر النفسية فوق العادية، ولقد انتاب وليم دنتون (زوج شقيقة الدكتور بوكاتان) وأستاذ الجيولوجيا بجامعة بوسطن شعور بالدهشة الشديدة حين تمكن شخص ممن يجري عليهم تجاربه من وصف تاريخ عينات جيولوجية مختلفة ملفوفة في أوراق بنية اللون وصفاً تفصيلياً وهنا

١٣٧ - عقول المستقبل - جون ج تايلور - ترجمة: دكتور لطفي فطيم - ص ٢٠٧ -

أعرب وليم دنتون عن أمله في أن تصبح يوماً ملكة "التكهن النفسي" أداة تلسكوب لرؤية الماضي.^(١٣٨)

وبعد ظهور نظرية النسبية لآينشتاين ظهر تفسير ثانٍ عرضت له في الجزء الخاص بأشكال التنبؤ من هذا الكتاب، ويعتبر أحدث التفسيرات لهذه الظاهرة هو تفسير د. دبليو. سبيري إذ ذهب إلى وجود ذاتين منفصلين للإنسان أحدهما يعيش في النصف الأيمن من المخ والثاني يعيش في النصف الأيسر، وكنا نعرف من زمن طويل أن النصف الأيسر من المخ يهيمن على اللغة في حين يهيمن النصف الأيمن على التذوق الفني والاستمتاع أي أن النصف الأيسر عالم والنصف الأيمن فنان، النصف الأيمن عاطفي والنصف الأيسر منطقي.

ويرتبط نصفاً المخ فيما بينهما بمعبر من الألياف العصبية فإذا استؤصل هذا المعبر فإن كلاً منهما يعمل منفصلاً عن الآخر وهكذا إذا عرضت تفاحة على النصف اليميني من المخ (الذي يرتبط بالعين اليمنى) وعرضت برتقالة على النصف الأيسر، وسئلت: ماذا شاهدت؟ فستكون الإجابة: تفاحة، ولكن إذا طلب منك أن تكتب بيدك اليسرى ما رأيت، فستكتب برتقالة، وإذا سئلت ماذا كتبت من فورك فستجيب تفاحة!!!

ومعنى هذا أن كل نصف من نصفي المخ لا يعلم ما يفكر فيه الآخر.

فعندما أجرى عملية حسابية على الورق فإنني أستخدم نصف مخي الأيسر مع قسط من المعونة من النصف الأيمن من آن لآخر عن طريق الاستبصارات المفاجئة، ويبدو أن هذه هي الطريقة التي يعمل بها المخ البشري: النصف الأيسر هو القائد وعلى النصف الأيمن أن يعبر

عن نفسه عن طريق النصف الأيسر، وهذا هو السبب في أن الإنسان المتحضر يبدو أنه لا يملك من الحدس إلا أقله.

ويروي كولن ويلسون تجربة ذاتية له مع هذه الظاهرة يحكيها قائلاً: ذات يوم كنت أقود سيارتي مصعداً على الطريق من نبتوان إلى ميفاجيسي وهو عبارة عن تل تتخلله منحنيات عديدة مباغته، وكانت الشمس تخاليل عيني حتى تكاد تعميني تماماً، وعند نقطة معينة خطر لي أنني لا بد مقترب من انعطافة وحاولت أن أدير عجلة القيادة غير أن يداي خائفتني وحافظتا على تثبيت عجلة القيادة، كان مخي الأيمن يعلم أنني لم أبلغ الانعطافة بعد ومن ثم فقد ألغى ببساطة الأمر الذي أصدرته بإدارة عجلة القيادة.^(١٣٩)

وهكذا يصبح أماننا عدة مدارس في تفسير هذه الظاهرة بعضها بدأ من "الإنسان" ليصل إلى تصور جديد ومثير لكيفية عمل المخ البشري، وبعضها بدأ من "الزمن" كإطار للظاهرة مع الاستعانة بما أحرزه علم الفيزياء من تطور خاصة بعد نظرية النسبية، وبعضها نظراً إلى "الأحداث" - موضوع التنبؤ - في ضوء معطيات الفيزياء عن الموجات الكهرومغناطيسية وإمكان صدورهما سواء عن البشر أو عن الأشياء ومع اختلاف التفسيرات تبقى الظاهرة لغزاً مثيراً وتتجاوز بوجودها المعلمي حدود الخرافة والأسطورة لتصبح حقيقة علمية تؤكد رغم بساطتها تضاًؤل الإنسان ومعارفه العلمية.

^{١٣٩} - فكرة الزمان عبر التاريخ - مجموعة مؤلفين - تحرير: كولن ولسن وجون جرانت -

التنويم المغناطيسي:

التنويم عملية عقلية تستخدم فيها قوة ما في تنويم شخص آخر حيث يصبح مستجيباً بشكل خاص للإيحاءات التي قدمها القائم بالتنويم وقد استخدم بديلاً عن التخدير في كثير من حالات الجراحة وعلاج الأسنان وله قيمة كبيرة في الحالات التي تكون مواد التخدير الكيماوية ذات أثر ضار على المريض. ولقد استخدم أسلوب التنويم لفقدان الإحساس بالألم منذ زمن بعيد، فمنذ مائة عام قام ج. إيزديل بأكثر من ثلاثة آلاف عملية جراحية مسجلة تسجيلاً علمياً في الهند كان من بينها عمليات بتر كبرى، واستخدم التنويم في الطب قبل ذلك بكثير فقد أمكن شفاء الكثير من الأمراض مثل النقرس والأرق والشلل وأمراض الأذن وكثير غيرها على يد الطبيب النمساوي فرانز مزمر ابتداء من عام ١٧٧٤ ولقد كان نجاحه باهراً لدرجة أنه في عام ١٧٧٦ قالت أكاديمية أوجز برج: أن ما حققه د/ مزمر في مجال شفاء عدد من مختلف الأمراض يؤدي بنا إلى افتراض أنه قد اكتشف إحدى قوى الطاقة الطبيعية الخفية.

وهناك طرق عديدة لإحداث التنويم تتوقف على كل من المنوم والشخص الذي ينومه وكانت الطريقة التي استخدمها مزمر تتضمن استعمال المغناطيسية فكان يبدأ بلمس مرضاه بمغناطيس ووجد فيما بعد أنه ليس في حاجة إلى استخدامه، فلكني يحقق الشفاء يكفي أن يمر بيديه على جسم المريض أو أطرافه متتبعاً خطوط الأعصاب فتزول الأعراض.

وبعد ذلك في باريس كان يرأس جلسات تنويمية في غرف امتلأت بالناس يبدؤون في التمايل ثم يسقط بعضهم على الأرض متشنجاً ويصرخ البعض الآخر أو تتناهم الشهقات أو يرقصون كال دراويش ويغمي على البعض وتحدث هذه المظاهر المدهشة بمجرد مرور مزمر في

وسطهم يلمس أحدهم بيده أو يمر على أحدهم بيده. وكانت الجماعة تجلس متشابكة الأيدي حول حوض مغناطيسي مليء ببقايا الحديد والزجاج المطحون والماء.

وأدى النجاح الذي حققه مزمر وفقدان مرضاه السيطرة على أنفسهم بتأثير التنويم إلى تكوين لجنة ملكية فرنسية قررت عام ١٧٨٥ أن المزمرة "نسبة إلى مزمر" طريقة خطيرة وفقد الرأي العام إيمانه بها وطويت لسنوات طويلة في زوايا النسيان.

وبعد ذلك قام الجراح الإنجليزي جيمس بريد بتطوير الظاهرة وتخليصها من الشوائب وتوصل إلى طريقتين للتنويم إحدهما تنم عن طريق الإيحاء اللفظي والأخرى عن طريق وسائل عضوية دون أي اتصال بالمنوم سوء باللمس أو الكلام.

وقد انتشرت عملية التنويم الذاتي بواسطة اسطوانات أشهرها اسطوانة لمنوم إيرلندي حاصل على زمالة كلية الجراحين الملكية مكن المرتبة العالية. وقد استخدم التنويم بنجاح مع مرضاه وأنقذ أحدهم بإجراء عملية بتر ساق مصابة بالغرغرينا باستعمال التنويم ومخدر موضعي، واسطوانة أخرى لمنوم إنجليزي يدعي هنري بليث هو أول من استخدم الاسطوانات في التنويم الذاتي وتعتبر علاجاً ناجحاً للأرق بدلاً من العقاقير المنومة وهو يقول عن ذلك: "من الممكن أن يموت المرء إذا زاد جرعة الحبوب المنومة - وهو أمر يحدث كثيراً - إلا أنه لن يموت إذا زادت جرعة التنويم".

وهناك مراحل للنوم الناتج عن التنويم وضعت لاختبار عمق النوم فهناك مقياس يسمى مقياس (دافيز وهازباند) الذي يقسم النوم إلى خمسة مراحل هي:

١ - عدم القابلية أو الممانعة.

٢ - شبه النوم عند وجود ارتعاش الجفنين والاسترخاء التام.

٣- السبات الخفيف عند ثبات النظرة والأطراف وفقدان الحساسية مختلف أجزاء الجسم بالإحياء.

٤- السبات المتوسط وفيها يقوم الشخص بعد استيقاظه بتنفيذ الأفعال التي أوحى إليه بها أثناء النوم ونسيان ما مر به خلالها كما تحدث تغيرات في شخصيته بالإحياء.

٥- المرحلة الأخيرة وهي السبات مع القدرة على المشي والحركة حيث يستطيع أن يفتح عينيه دون أن يؤثر ذلك على سباته.

ويحتوي هذا المقياس كاملاً على ٣٠ مرحلة، وهناك مقياس آخر وضعه لسلي لكرون يحتوي على ٥٠ مرحلة وفي هذا المقياس يمكن في مراحله الأخيرة التحكم في ضربات القلب وعمل الجهاز الهضمي وفي المرحلة السابعة والأربعين إحداث الأحلام بالإحياء.

وقد أمكن عن طريق إحياء ما بعد التنويم مساعدة الرياضيين في الجري بسرعة أكبر بل على تحسين أداء فرق بأكملها من لاعبي السلة وكرة القدم كما استخدم في تقليل الشره للطعام والتدخين وكذلك في تحسين القدرة الجنسية لدى الجنسين. وقد أدت هذه الطريقة إلى ظهور حالات من الإجهاد العضلي عند الرياضيين الذين تعرضوا للتنويم مما أدى في عام ١٩٦٠ إلى أن تصدر اللجنة الرياضية ومجلس الصحة العقلية لاتحاد الأطباء الأمريكيين أن يصدر بياناً مشتركاً يدينان فيه ممارسة التنويم لزيادة القدرات الجسمية لدى الأفراد.^(١٤٠)

^{١٤٠} - عقول المستقبل - جون ج. تايلور - ترجمة: دكتور لطفي فطيم - ص ١٨٠ -

المخاطر الأخلاقية:

تحميلنا هذه النتائج إلى التساؤل: هل يمكن أن يؤثر التنويم على شخص لدرجة الإتيان بأفعال إجرامية أو لا أخلاقية؟

لقد أجريت عدة تجارب للتحقق من ذلك شملت إحداها عريفاً في الجيش وضابطين فأعطى أحد الضابطين العريف معلومات وصفت بأنها سرية ثم نوم الضابط الآخر العريف وادعى أنه الضابط الأول وطالبه بما كان منه إلا أن أعطاها له وحدثت نتائج مشابهة مع سبعة جنود آخرين أمكن تنويمهم لدرجة النوم العميق.

وقد وجد الباحث حادثتين: أحدهما حدثت سنة ١٩٣٧ والأخرى سنة ١٩٦١ باستخدام التنويم^(١٤)، وقد شهدت محكمة جنايات القاهرة جريمة كثيرة شغلت الرأي العام منذ ثمانين عاماً وأعادت جريدة "أخبار الحوادث" المصرية نشر إحدى جلساتها جاء فيها ما يلي:

اليوم يوم الأربعاء الأول من شهر ديسمبر ١٩١٣ محكمة جنايات القاهرة منعقدة برئاسة الأستاذ توفيق رفعت بك المستشار (معالي المغفور له توفيق رفعت باشا) قاعة الجلسة الفسيحة ليس فيها موطئ لقدم فقد تكدست جنباتها بالكتل البشرية التي جاءت تستمع إلى قضية كان لها عند الرأي العام صدى عميق.

هذه القصة بطلاها طبيب وفتاة خادمة نومها الطبيب مغناطيسياً ثم اعتدى عليها وإذا ثابت الفتاة إلى رشدتها رفعت أمرها للقضاء، وجيء في الجلسة بالفتاة المحني عليها وطلبت

^{١٤} - عقول المستقبل - ص ١٩١ - ١٩٢

هيئة المحكمة إلى الدكتور محمود بك ماهر وكان حينئذٍ مساعداً للطبيب الشرعي أن يقوم بتنويمها فاعتذر عن عدم تمكنه من ذلك وإذ أصرت المحكمة على طلبها استدعي الدكتور محمد رشدي بك كبير أطباء المحافظة فلما حضر قام بتنويم الفتاة بعد جهد استغرق منه ربع ساعة.

وأعلن الطبيب لهيئة المحكمة أنه أتم تنويمها فطلبت منه هيئة المحكمة التأكد من نومها فأخذ يخزها بالدبابيس بقوة في أجزاء من جسمها حتى سال الدم، ومغلاة في التأكد من نومها وخزها بالدبابيس تحت أظافرها وهي ساكنة لا تتحرك كما لمس بأصابعه حدقة عينيها فلم يختلج لها طرف وقام الطبيب بوضع غطاء على عينيها وطلب من هيئة المحكمة فحص حالتها بأنفسهم.

وكان المرحوم محمد بك أبو شادي قد حضر محامياً عن الطبيب المتهم فقال وقد أخفى يديه تحت روب الحمامة: إنني لن أصدق ما حدث إلا إذا استطاعت أن تخبرني بما في يدي هاتين، فقال له الطبيب فأخرج يديك من تحت الروب حتى إذا نبأت الفتاة بما فيهما وجاء قولها صحيحاً لم يبق مجال للشك، والتفت إلى الفتاة وأمرها أن تنظر ببصيرتها إلى ما في يديه، فقالت إن يده اليمنى خالية وفي يده اليسرى خاتم من الذهبي له فص أحمر وفتح الرجل يديه فإذا الأمر كما قالت تماماً، وسرت في الحاضرين دهشة شديدة وهنا قال محامي المتهم: الآن صدقت.

ولكن الطبيب تأكيداً لنومها أخرج ساعته من جيبه ووضعها على جبينها وهي معصوبة العينين وأمرها أن تقرأ الساعة بجبينها ووضعها على جبينها فقرأتها وعرضها على هيئة المحكمة لتؤكد من صحتها، ثم أعطى الساعة لرئيس المحكمة وقال: له يمكنك تقديم الساعة

وتأخيرها كما تشاء ففعل ثم أعطاها للطبيب فوضعها على معدتها وقال لها: كم الساعة؟ فأجابته إجابة دقيقة واستمر في اختبارها حتى تيقن الجميع أنها نائمة وقادرة على الرؤية بكل أجزاء جسمها كما بعينها.

وطلبت هيئة المحكمة منها أن تروي ما حدث فروت الحادثة كما روتها في يقظتها تماماً ولم تختلف في روايتها وهي نائمة إلا في شيء واحد وهو اسم الطبيب المتهم بالاعتداء عليها فقد أطلقت عليه اسم امرأة، فلما استوضحت المحكمة الطبيب المنوم في ذلك قال: يبدو أن الطبيب عندما نومها أو همها أنه امرأة فلم تعرفه إلا بهذا الاسم.^(١٤٢)

التنبؤ بوجود الماء تحت الأرض:

كثير من الحيوانات تكشف عن حساسية غير عادية للماء من ذلك أن الفيل يتميز بحساسية خاصة تجعله قادراً على تحديد وجوده تحت الأرض، ففي زمن الجفاف تبحث الفيلة عن الماء القريب من سطح الأرض بخرائيمها ثم تستخرجه بدك الأرض بأقدامها الثقيلة.

وقد عرف الإنسان هذه الظاهرة منذ القدم ففي بعض اللوحات الفرعونية التي يزيد عمرها عن خمسة آلاف عام يظهر بعض الأشخاص وقد وضعوا على رأسهم غطاءً غريباً يحملون عصا على شكل الشوكة بطول ذراع الإنسان، كما كان أحد تماثيل الإمبراطور

^{١٤٢} - أخبار الحوادث - ١٩٩٢/٥/٢١ ص ١٥ - نقلاً عن: مجلة الفصول أكتوبر

الصيني كوانج شو الذي يرجع تاريخه إلى عام ٢٢٠٠ ق. م، يظهر فيه حاملاً عصاً تشبه الشوكة.

والطريقة التقليدية في البحث عن الماء تحت الأرض تعتمد على غصن من أغصان الشجر على شكل حرف واي (Y) بحيث يحمل الإنسان هذا الغصن أمام جسمه موازياً لسطح الأرض وفي هذا الوضع تكون عضلات الذراع خاضعة لبعض التوتر وعندما يصل الشخص الذي يتمتع بهذه القدرة إلى منطقة تقترب فيها المياه من سطح الأرض يزداد التوتر في العضلات فيميل الغصن نحو الأرض.

وهناك تنوع في أساليب الكشف عن الماء فالبعض يستخدم فرع شجرة والبعض الآخر يستخدم ساقاً معدنية أو عظمة فك حوت أو مجرد سلك من النحاس أو عصاً عادية أو مقص من مقصات الجراحة وباختلاف الأداة يختلف شكل الحركة وتفسيرها.

شركات وجيوش وحكومات:

تستخدم أغلب شركات أنابيب المياه الكبرى في الولايات المتحدة واحداً من هؤلاء الموهوبين ضمن موظفيها كما تستخدم وزارة الزراعة الكندية واحداً منهم بصفة دائمة، كما عينت منظمة اليونسكو هولندياً يتمتع بهذه الموهبة لمساعدتها في أبحاثها، وعمدت البحرية الأمريكية إلى تدريب عدد من المهندسين التابعين لها في الوحدات التي شاركت في حرب فيتنام على استخدام عصا التنبؤ للكشف عن الألغام الغارقة في الماء وكذلك الجيش التشيكوسلوفاكي يحتفظ بوحدة دائمة من هؤلاء ضمن قواته.

وقد بدأت الأبحاث الجادة حول ظاهرة التعرف على المياه الجارية تحت الأرض في فرنسا عام ١٩١٠ على يد الفيزيكون هنري دي فرانس الذي يرجع إليه الفضل في تأسيس الجمعية البريطانية لأصحاب هذه المهنة عام ١٩٣٣ وحظيت الأبحاث حول هذه الظاهرة بمساندة الدولة في الاتحاد السوفياتي (سابقاً) ولذا فإن أهم الحقائق العلمية حول هذا الموضوع تمت على أيدي العلماء السوفيت.

وقد بدأت الأبحاث السوفيتية عندما خصصت إحدى البعثات الرسمية عدداً من الأشخاص الذين يتمتعون بهذه المهنة من العاملين في الجيش السوفياتي لمعاونة مجموعة من العلماء المرموقين في مجالي الجيولوجيا والهيدروليكا، وبعد آلاف التجارب قالت تقارير البعثة:

"إن العصا التي على شكل شوكة قد استجابت ليس فقط لمصادر الماء تحت الأرض ولكن أيضاً للكابلات والأسلاك الكهربائية المدفونة، وذلك بصرف النظر عن مدى سرعة تحرك حامل العصا، كما أنه عند تغطيته بدروع من رقائق الحديد أو الرصاص فإن قدرته لا تتأثر، والعصا تفقد قدرتها بعد يومين أو ثلاثة كما تفقد قدرتها إذا كسرت وتم إصلاحها، وفي بعض التجارب تمكن المهوبون من الكشف عن وجود معادن كالرصاص والذهب على عمق ٢٤٠ قدماً. وموهبة هؤلاء الأشخاص يمكن الاعتماد عليها بنجاح لتحديد مواقع الكابلات الكهربائية تحت الأرض وكذلك أنابيب المياه بل وتحديد أماكن الخلل في شبكات الأسلاك الكهربائية".

وفي عام ١٩٦٦ نظم نيكولاي سوتشيفانوف عالم التعدين بجامعة ليننجراد بعثة علمية إلى قيرغيزيا باستخدام طائرة معدة لعمليات المسح الأرضي ويقف داخل الطائرة مع مجموعة من المهوبين يحملون عصي الكشف وقد اتضح من تجاربه أن سبب الإحساس بوجود الماء

حدوث احتكاك بينه وبين التربة يولد مجالاً مغناطيسياً واستطاع بعض الموهوبين تحديد مواقع عروق من الرصاص لا يزيد سمكها عن ٣ بوصات على عمق ٥٠٠ قدم.

وأجرى سوتيشيفانوف تجارب على التنبؤ بالعصى داخل سيارات متحركة ولم تنخفض كفاءة العصي إلا عندما كانت السيارة تسير بسرعة كبيرة جداً كما لم تتأثر بتثبيت قطع قوية من المغناطيس على ظهور الموهوبين، غير أن كفاءة الموهوبين تلاشت عند ارتدائهم قفازات من الجلد.

وهناك حالات خاصة في الكشف عن مواطن المياه تحت الأرض تتجاوز ما ذكرناه ففي عام ١٩٦٣ ذاعت شهرة صبي عمره ١٢ سنة في جنوب إفريقيا واسمه جارسفيلد وكان سر شهرته أنه يرى بالأشعة السينية وكان في إمكانه تحديد موضع الماء تحت الأرض دون أي أجهزة أو أدوات. لقد قال إنه يرى الماء يلتصق كضوء من خلال سطح الأرض، كما أبدى دهشة كبيرة عندما عرف أن غيره من الناس لا يرون ما يراه.^(١٤٣)

تحريك الأشياء عن بعد:

القدرة على تحريك الأشياء عن بعد من أقل القدرات الخارقة شهرة إذا قيسَت بالتخاطر والتنبؤ مثلاً ومن الحالات الشهيرة في هذا المجال حالة دوجلاس هيوم الذي استطاع

^{١٤٣} - عجائب العقل البشري - راجي عنايت - ص ٥٤ - ٦٦، وقد أشار إلى الظاهرة نفسها جون ج. تايلور في: "عقول المستقبل" ص ٢٠٣ - ٢٠٤ واعتبرها شكلاً من أشكال الاستشفاف وما ذكره عنها يكاد يكون بلا قيمة.

إقناع سير وليم كروكس بقدراته وكان يستطيع أن يسبح في الهواء خارجاً من شباك يرتفع عن الأرض سبعين قدماً وأن يسبح عائداً منه. (١٤٤)

وقد أجرى البروفسور راين تجارب عديدة على هذه الظاهرة منذ الأربعينات تضمنت الحكم في رميات النرد (الزهر) ومنذ عام ١٩٦٩ أجريت تجارب على الحيوانات أدت إلى نتائج مذهشة، ففي تجربة مع مجموعة صغيرة من الكتاكيت حديثة الفقس تمكنت من التحكم في ضوء يبعث الحرارة ناتج من مولد كهربائي يعمل ويقطع عشوائياً تغيب عنه كان يعمل بشكل طبيعي، بل إن صندوقاً من البيض المخصب عندما وضع مع المولد أحدث نفس التأثير بينما لم يحدث ذلك عندما وضع صندوق من البيض المسلوق. (١٤٥)

وفي جامعة ليننجراد أجريت تجربة على امرأة تتمتع بهذه القدرة وتدعى نيليا ميخايلوفا إذ وضعت السيدة تحت رقابة عشرات من الأجهزة التي تقيس كل شيء يمكن قياسه أثناء التجربة بدءاً من الضغط والنفض وانتهاء بأنواع الإشعاعات التي تسود المخ أثناء التجربة.

كان على هذه السيدة أن تفصل بياض البيضة عن صفارها بمجرد النظر إليها، وضع الطبق على منضدة تبعد عنها مسافة ستة أقدام وبدأت التجربة في حضور عدد من كبار

^{١٤٤} - جون ج تايلور - عقول المستقبل - ترجمة: دكتور لطفي فطيم - سلسلة عالم المعرفة

- الكويت - ص ٢٠٤، وقد كتب السير كروكس عنه في مجلة العلوم الفصليّة:

"في ثلاث محاولات متفرقة شاهده وهو يرتفع تماماً عن الأرض وهو شبه غيبوبة، مرت بيدي تحت قدميه وأيضاً قمت بلمس باطن حذائه فلم أجد جهازاً أو عائقاً من أي نوع".

^{١٤٥} - عقول المستقبل - عقول المستقبل - ترجمة: دكتور لطفي فطيم - سلسلة عالم المعرفة

- الكويت - ص ٢٠٦.

علماء جامعة ليننجراد، ركزت السيدة بصرها على الطبق اهتزت البيضة اهتزازات خفيفة في أول الأمر وأخذ كل من البياض والصفار يتحرك في اتجاه وبعد ٣٠ دقيقة نجحت السيدة نيليا في فصل صفار البيضة عن بياضها.

وكانت هذه من أصعب التجارب العلمية التي أجريت مع اتخاذ كافة الاحتياطات العلمية لتأكيد قدرة الإنسان على التأثير في المادة عن بعد، وعلى الفور بدأت دراسة النتائج التي سجلتها الأجهزة التي وضعت لقياس كافة أشكال النشاط في جسمها أثناء التجربة وكانت كالتالي:

- ١- نشاط ضخم في المخ أثناء التجربة.
 - ٢- نشاط غير منتظم في القلب.
 - ٣- زيادة في النبض وصلت إلى ٢٤٠ ضربة في الدقيقة أي أربعة أمثال النبض الطبيعي.
 - ٤- ارتفاع شديد في نسبة السكر في الدم.
- وخلال التجربة التي استمرت نصف ساعة فقدت السيدة نيليا رطلين من وزنها وخرجت من التجربة على درجة كبيرة من الضعف العام وفقدان مؤقت للبصر وكذلك التدوق مع آلام شديدة في الأطراف وظلت غير قادرة على النوم لعدة أيام.
- وحالة نيليا ميخالوفا تنطبق عليها إلى حد بعيد "فرضية كولن ويلسون" التي تربط بين ظهور قدرات خارقة عن شخص ما وبين تعرضه لانهيار في البناء الجسماني كلياً أو جزئياً، فقد أصيبت هذه السيدة في نهاية الحرب العالمية وأمضت وقتاً طويلاً في المستشفى حتى شفيت وفي هذه الفترة بدأت تكتشف قدرتها الخاصة وهي تسجل ذلك بقولها:

"في ذلك اليوم سادني حالة شديدة من الغضب والقلق وكنت أسير في اتجاه الدولاب عندما وجدت الإناء الخزفي الموضوع فوق الرف يتحرك إلى حافة الرف ويسقط على الأرض متحطماً".

وكان العالم البيولوجي إدوارد فاموف الأستاذ بجامعة موسكو أول من اكتشفها فبدأ اختبار قدرتها في معمله بأن أفرغ محتويات علبة ثقاب ومدت كفيها فوق المائدة والأعواد تتحرك مع حركتها في كومة واحدة حتى خرجت بيديها من إطار المائدة فسقطت الأعواد على الأرض. ووضع الدكتور فاموف لوحاً من الزجاج بين يديها وأعواد الثقاب ولكنها استطاعت تحريك الأعواد من أقصى المائدة إلى أقصاها.

وقد أجرى الدكتور البروفسور جينادي سرجيف في قاعة معمل الفسيولوجي دراسات عن المجال المغناطيسي حول جسدها في تجربة فصل بياض البيضة عن صفارها التي سبق الكلام عنها فاكشف أنها تتمتع بمجال مغناطيسي يكاد يبلغ ١٠/١ المجال المغناطيسي للكرة الأرضية.

وفي لندن قام هاى برايس بتجارب على فتاة صغيرة استطاعت أن تركز على ذراع مثل ذراع آلة التلغراف فتضغط على قاعدة لتغلق دائرة كهربائية وتضيئ مصباحاً متصلاً بها، كل هذا دون أن تمس الفتاة أي عنصر من عناصر التجربة، وقد توسع في تجربته فوضع الجهاز بأكمله تحت غطاء من الزجاج وأحاطه بسياج من الخشب ونشر فقاعات من الصابون والجلسرين بين الجهاز والغطاء واستطاعت الفتاة أن تجعل المصباح يضيئ وينطفئ عدة مرات متتالية.

وعلق البروفسور ج. ب. راين بعد خمس وعشرين عاماً من التجارب على هذه الظاهرة: "إن العقل له القدرة على التأثير في المواد الطبيعية مباشرة" (١٤٦)

هل هو حظ حسن:

أجرى العالم ريتشارد تيلور حديثاً تجربة طلب فيها من مجموعة أشخاص بمعمله تخمين عدد الأوراق الحمراء والسوداء لبعض ورق اللعب، وبعد التجربة الأولى قام بفصل المجموعة التي حققت تخميناً عالياً مكرراً التجربة بين أفراد هذه المجموعة، فتصاعدت قدرتهم على التخمين بالنسبة لباقي المشاركين في التجربة، وهو ما دفع مدير مؤسسة علم النفس الصناعي بهولندا إلى القول: "هناك مظاهر ومؤشرات تؤكد أن بعض البشر لديهم استعداد شخصي للحظ الحسن".

والثير في الموضوع أن تيلور اختار مجموعة عشوائية من البشر وأجرى عليهم تجربة ورق اللعب، وبصرف النظر عن مدى قدرتهم على التخمين أخبرهم كذباً أنهم حققوا نتائج مدهشة، وكانت النتيجة ارتفاعاً ملحوظاً في قدرتهم على التخمين في التجارب التالية. وهذا يعني أن "الحظ" حالة من حالات العقل أو على الأقل يبدو كذلك؟

وقد استغل بعض الموهوبين قدراتهم هذه في الحصول على المال، ومنهم قصة مثيرة لأسترالي يتمتع بهذه القدرة هو جون روبرتسون الذي سافر إلى بريطانيا هارباً من الفقر والديون وهناك اكتشف قدرته وقرر استغلالها في لعب القمار، وقد استطاع خلال خمسة

١٤٦ - عجائب العقل البشري - راجي عنایت - دار الشروق - مصر - ص ٧٦ - ٨٤.

أشهر أن ينتقل بسيارة ليموزين فاخرة مع حاشية كبيرة إضافة إلى رصيد في البنك بلغ ٤٠ ألف جنيه استرليني، بل إن هذا الرصيد قفز في ليلتين على موائد القمار من ٤٠ ألف جنيه إلى ١٠٠ ألف جنيه، والمثير أن روبرتسون خسر كل أمواله في مراهنة خاسرة بعد أن اكتشف أحد رواد نادى قمار حقيقة قدرته، ولسوء حظ روبرتسون كان هذا الشخص يتمتع بنفس القدرة فاستخدمها دون أن يدري روبرتسون في إلغاء تأثير محه، ليعود كما بدأ فقيراً ويموت في أحد المستشفيات الخيرية ببلجيكا.^(١٤٧)

سيروس المصور:

من الحالات الشهيرة لهذه القدرة التي أخضعت للتجارب المعملية، حالة مواطن أمريكي يوناني الأصل يدعى سيروس اكتشفه أستاذ العلاج النفسي بالمدرسة الطبية في دنفر دكتور جول ايزنباد وبعد تجارب استمرت ٣ سنوات تأكد ايزنباد أن سيروس يمتلك القدرة على تسجيل صور لمشاهد طبيعية بعيدة بمجرد النظر في عدسة الكاميرا، وذلك في ظل الاحتياطات العلمية الكاملة، وقد تم فحصه والكشف عليه طبياً بدقة وتم تصوير التجارب التي أجريت عليه سينمائياً ودون أن يسمح له بلمس أي جهاز يدخل في التجربة بل تكييله في رداء لا يسمح له إلا بتحريك رأسه، واستطاع أن يسجل صور أفكاره على الألواح الحساسة لآلة التصوير. وقد ثبت من التجارب أن المجال المغناطيسي ليس له أدنى تأثير عليه فقد تمكن من تسجيل صورته داخل مجال مغناطيسي تبلغ قوته ١٢٠٠ جاوس وهو أقوى آلاف المرات من

^{١٤٧} - ٣٠ ظاهرة خارقة حيرت العلماء - راجي عنایت - دار الشروق - مصر - ص

المجال المغناطيسي للأرض، كما تمت محاولاته داخل قفص فراداي الذي يخفض المجال المغناطيسي للأرض إلى ٣/١ قوته الطبيعية، كما تم اختبار قدرته داخل حجرة جدرانها من الصلب الذي يبلغ سمكه ٥ بوصات لحجب الإشعاعات ووضعت على بعد ١٨ بوصة منه أجهزة قادرة على تسجيل أقل إشعاع كهرومغناطيسي فلم تسجل أي تغيرات أثناء التجربة. واستطاع سيروس أن يصور أفكاره بنجاح عندما وضع لوح من الزجاج المسقي بالرصا ص سمكه ٢/١ بوصة بينه وبين آلة التصوير الأمر الذي يؤكد عدم نفاذ أشعة إكس، كما مارس بنجاح عندما وضعت بينه وبين آلة التصوير ألواح من الخشب أو البلاستيك مما يستبعد احتمال استخدام الأشعة تحت الحمراء فوق البنفسجية. وتسجيل التجارب التي قام بها سيروس يؤكد أنه كان أثناء التجربة، يمارس "تركيزاً مكثفاً بعينين مفتوحتين وشفتين مضغوطتين مع توتر ملموس في نظامه العضلي أما وجهه فيبدو مخضباً مبقعاً وقد نفرت عروق جبهته كما كانت دقات قلبه تتصاعد في سرعتها مع مراحل التجربة". (١٤٨)

شهادة عالم مسلم:

بقي في رحلتنا هذه في معامل الأبحاث محطة واحدة لها أهميتها الخاصة نطلع فيها على شهادة واحد من أعظم العلماء المسلمين في تاريخنا الحديث هو العالم الباكستاني محمد عبد

١٤٨ - عجائب العقل البشري - راجي عنايت - دار الشروق - مصر - ص ١٠٦ -

السلام المعروف باسم بروفيسور سلام الذي يصفه الدكتور عدنان الحموي (١٤٩) بأنه "من أكبر علماء المسلمين خلال القرون الستة الماضية وأحد أكبر علماء الفيزياء المعاصرين"، ويصفه الدكتور ممدوح كامل الموصلي (١٥٠) بقوله: "يحظى سلام بتقدير علمي ودولي نتيجة لإنتاجه في مجال الفيزياء النظرية وقد منح أكثر من خمس وعشرين دكتوراه فخرية وثمان عشرة جائزة وميدالية في مجال الفيزياء أهمها جائزة الذرة من أجل السلام (١٩٦٨)، وجائزة نوبل للفيزياء (١٩٧٩) وجائزة لومونوسوف الذهبية من أكاديمية العلوم السوفياتية (١٩٨٣). وكذلك أربعة أوسمة رفيعة من مختلف دول العالم، كما اختير عضواً في ثلاث وعشرين أكاديمية بما في ذلك أكاديمتي العلوم في الولايات المتحدة وفي باكستان"

يقول البروفيسور سلام في كتابه: "المسلمون والعلم" نقلاً عن عالم فيزيائي غربي:

"القصة التالية عن فينمان أحد الفيزيائيين العظماء في عصرنا إن لم يكن أعظم الفيزيائيين الأحياء على الإطلاق، كان في غرفة تعزل عنه الإحساس بكافة المؤثرات في تجربة للخروج من الجسد وشعر أنه خرج من جسده وشاهد الجسد ملقى أمامه. ولكي يختبر مدى حقيقة هذه التجربة، حاول أن يحرك ذراعه وهنا شاهد بالفعل ذراع الجسد

١٤٩ - رئيس جمعية الأصدقاء العرب للمركز الدولي للفيزياء النظرية بترستا بإيطاليا وهو المركز الذي أنشأه البروفيسور سلام في عام ١٩٦٤.

١٥٠ - أستاذ بكلية العلوم جامعة عين شمس - مصر.

الملقى أمامه يتحرك. وبعد أن وصف ذلك قال: إنه أصبح قلقاً لاحتمال أنه خارج جسده، فقرر أن يعود إليه.

وبعد أن انتهى من رواية قصته سألته عما خرج به من تجربته الغريبة، وهنا رد فينمان بإجابة تتسم بدقة الملاحظة لعالم حقيقي "إنني لم أشاهد أي انتهاك لقوانين الفيزياء" ويعقب البروفسور سلام على ذلك بقوله:

"وبالنسبة لي شخصياً فإن إيماني يستند على الرسالة الروحية الأزلية للإسلام في أمور سكنت عنها الفيزياء وستظل ساكنة، وهذا الإيمان قد تحدد بنص أول آيات القرآن الكريم بعد الفاتحة: "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" (١٥١)، "الذين يؤمنون بالغيب" (١٥٢)، والذي لا يرى... والذي لا يدركه البشر، والذي لا يمكن معرفته... هو ما تعبر عنه الكلمات العربية الأصيلة: "يؤمنون بالغيب". (١٥٣)

١٥١ - سورة البقر آية ١

١٥٢ - سورة البقرة - آية ١٣.

١٥٣ - المسلمون والعلم - للعالم الباكستاني دكتور محمد عبد السلام - ترجمة دكتور

ممدوح كامل الموصلي - دار الغد للنشر والدعاية والإعلان - مصر - ١٩٨٦ - ط ١ - ص ١١ - ١٧، ص ٤٤ - ٤٥.

خاتمة

منذ سبعة قرون كتب الإمام ابن القيم كتابه: "زاد المعاد في هدي خير العباد"، وقد تناول فيه كل أحوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - على قدر تيسير الله له - ومن بين أبواب الكتاب الهامة التي ينبغي إدراجها في سياق هذا البحث، ما كتبه تحت عنوان: "فصل في فقه هذا الباب (باب هديه في الأسماء والكنى)" يقول:

"لما كانت الأسماء قوالب للمعاني ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينهما ارتباط وتناسب، وأن لا يكون المعنى معها بمثالة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثير عن أسمائها في الحسن والقبح، والخفة والثقل واللطافة والكثافة، كما قيل:

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب

إلا ومعناه - إن فكرت - في لقبه

يروى عن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير أسماء أشخاص وأماكن أحصى منها ست عشرة حالة، منها حالة "حزن" جد سعيد بن المسيب الذي غير الرسول اسمه إلى سهل فأبي، وقال: "السهل يوطأ ويمتنهن" (١٥٤)

ولعل هذه الحالة بالذات آثرت التعرض لها لأن صاحبها اتخذ موقفاً فريداً أو ربما لم يتكرر وهو رفض تغيير اسمه وتبريره ذلك بدلالة الاسم الجديد على الامتihan - كما يرى هو - وقد لفت هذا الموقف نظر ابن القيم نفسه فعاد للتعليق عليه بعد بقوله:

"وما أجدر هذه الأسماء بتأثيرها في مسمياتها كما أثر اسم (حزن) الحزونة في سعيد بن المسيب وأهل بيته". (١٥٥)

فهل يكتسب المرء فعلاً شيئاً من صفات اسمه؟ أم أنها مجرد رموز نطلقها على الأشخاص لمجرد التمييز؟ وهل تتغير الصفات، أو الصفة المشتقة من الاسم - إذا تغير؟

إنها مجرد تساؤلات تثيرها نصوص لإمام من أئمة الفقه الإسلامي عبرت حاجز القرون السبعة لتطرح نفسها أمام القارئ وخلفها مواقف سجلتها كتب التاريخ والحديث لتجعل التجاهل المحتمل للفكرة المطروحة من خلالها نوعاً من التجني، ولتضع كل قارئ أمام سؤاليين بسيطين:

١٥٤ - زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم - تحقيق: عبد القادر وشعيب الأرناؤوط ص ٣٣٥ - ج ٢ - والحديث رواه البخاري ٤٧٣/١٠ وكذلك في: "الأدب المفرد" - ص ٤٧٤ [هامش المصدر نفسه].

١٥٥ - السابق - ص ٣٤١ - ج ٢.

أولاً: ماذا تعرف عن معنى اسمك؟

ثانياً: ما يصيبك من الصفة التي تحملها؟

ويبقى "المعبر" الذي تحدث عنه مجالاً من مجالات التنبؤ بشخصيات الأفراد من خلال أسمائهم، وشكلاً من أشكال المعارف تنفرد به ثقافتنا الإسلامية وتدعمه شواهد التاريخ.

٢

من بين أسفار التوراة ينفرد سفر دانيال بطبيعة خاصة ربما نبعت من تفرد شخصية دانيال ذاته، ويؤرخ هذا السفر لحكم نبوخذ نصر ملك بابل الذي استولى على مملكة يهوذا وهدم الهيكل الثاني وساق بني إسرائيل إلى السبي، وحسب السفر أمر الملك باختيار أربعة من اليهود يتميزون بالفهم والعلم وحسن الهيئة يربون في قصره ثلاث سنوات ثم يعملون بعد ذلك بخدمته.

وكان من بين الأربعة دانيال الذي عزف عن طعام القصر وطلب أن يقدم لهم طعام يسمى "القطني" فقط بدلاً من الطعام الفاخر والخمر اللذين كانا يقدمان من مطعم القصر، فأصبح دانيال "فهيماً بكل الرؤى والأحلام" (١٥٦).

وفي السنة الثانية من وجودهم في القصر حلم نبوخذ نصر أحلاماً فانزعجت روحه وطار عنه نومه، فأمر بأن يستدعى الجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون، وجاؤوا فقال لهم الملك قد حلمت حلماً وانزعجت روحي لمعرفة الحلم، فقالوا: أخبر عبيدك بالحلم فنبين تعبيره، فقال: "قد خرج مني القول إن لم تنبؤني بالحلم وتعبيره تصبرون إرباً وإن بينتم الحلم تنالون من قبلي هدايا وحلاوين".

وذهب رئيس الشرطة لأخذ دانيال ورفاقه لقتلهم مع باقي حكماء بابل فطلب وقتاً ليبين للملك تعبير الحلم وكشف له السر في رؤيا الليل فوقف أمام الملك وقال له: "قد عرف الملك نبوخذ نصر ما يكون في الأيام الأخيرة. أنت يا أيها الملك أفكارك صعدت إلى ما يكون بعد هذا وكاشف الأسرار يعرفك بما يكون".

ويروى السفر بعد ذلك الرؤيا وتعبيرها، وفي الإصحاح الرابع رؤيا أخرى رآها نبوخذ نصر وفسرها دانيال وكانت تنبئ بالتهيار ملك نبوخذ نصر، ثم يروى السفر قصة حلمين

رآهما دانيال نفسه. وهو مصدر مهم لفهم حقيقة موقف الأديان الأخرى من فكرة التنبؤ التي لا يخلو منها تراث أمة على اختلاف التفاصيل.^(١٥٧)

٣

تقول الكاتبة نورما لي بروننج التي كتبت عن حياة بيتر هوركس كتاباً: "للأسف يسود أغلب العلماء شعور بالشك والريبة إزاء كل الظواهر العقلية الخارقة، مما يعقوهم عن القيام بدراسات علمية، وبحوث متخصصة، حول النشاط العصبي، الفيسيولوجي والأنماط الخاصة بموجات المخ لدى هؤلاء الذين يتمتعون بقدرات عقلية خارقة. والعلم المعروف باسم: "باراسيكولوجي" والذي تدخل في إطاره كل القدرات الخارقة للعقل البشرى مثل: التخاطر، الاستشفاف، القدرة على الرؤية عبر الزمان والمكان، قدرة العقل على التأثير في المادة، والخروج من الزمن بالإبحار في الماضي أو المستقبل هذا العلم اكتسبت أغلب فروعه اعترافاً علمياً على يد العديد من العلماء الفلاسفة بحيث لم تعد القضية الآن إثبات صدق هذه الظواهر، بل البحث فيما يجعلها تظهر وتقوى عند

^{١٥٧} - سفر دانيال - العهد القديم - دار الكتاب المقدس - مطبعة عنتر - ١٩٦٩ - ص

الشخص العادي. مع هذا فما زال الكثير جداً من العلماء الطبيعيين حتى يومنا هذا يرفضون الاعتراف بالبحوث العملية التي تجري حول الظواهر الفائقة للعقل البشرى، ولعل بعض أسباب هذا الموقف يرجع إلى أن هذه الظواهر قد اختلطت على مدى التاريخ بجهود الكثير من الأفاقين والنصابين والمخادعين، مما جعل التمييز بين الظاهرة الحقيقية والمناورة الكاذبة أمراً شاقاً. لهذا وخوفاً من الخوض في هذه المناطق الموحلة يسارع معظم العلماء إلى رفض الأمر كله بل إدانته رغم أن هذه الإدانة تكون غير موضوعية وتنقض التفكير العلمي السليم، ولعل هذا هو السر في بطء التقدم الذي تحرزه الدراسات العملية في مجال الباراسيكولوجى وصعوبة الوصول إلى تفسير علمي لظواهر العقل الخارقة". (١٥٨)

ونعود إلى الكاتبة لي بروننج إذ تقول: "المخ في حقيقته من أكبر ألغاز البشرية، لم تتحقق الكثير من المعارف عنه حتى ما قبل الحرب العالمية الثانية، ولم نصل إلى الشطر الأكبر من معارفنا الحالية إلا خلال السنوات العشر أو العشرين الماضية، ولعل قلة معارفنا عن المخ البشرى هي السبب فيما نجد أنفسنا فيه من حيرة عندما نسأل أنفسنا: لماذا؟ وكيف تحدث الظواهر الخارقة؟ وفي عصر طفل الأنابيب وزرع القلب والمهبوط على القمر يبدو غير مفهوم أن يبقى العلم حتى الآن متخذاً موقف التجاهل إزاء الظواهر العقلية الخارقة. الثابت حتى الآن أن العقل البشري يصبح قادراً في بعض الأحيان على تخطى حواجز الزمان والمكان.... هذه حقيقة ثابتة لا تقبل المناقشة. لكن المطروح هو لماذا؟ وكيف؟" ...

١٥٨ - رجل يعرف كل الأسرار - راجى عنايت دار الشروق - مصر - ص ١٥١ -

"لقد هزم البشر قمة أفرست لأنها موجودة، وبنفس الدواعي انتصر الإنسان على القمر، وإذا كان العلماء قد قالوا إن اكتشاف القمر والمهبوط عليه سيزيد فهم الإنسان لنفسه، فما موقفهم من ضرورة اكتشاف الإنسان لعقله هو؟". (١٥٩)

وبعد....

فقد وصلت رحلتنا إلى نهايتها بعد أن طوفت في أنحاء الزمان والمكان من الهند والصين واليابان إلى مصر الفرعونية واليونان وإيطالية القديمة، قرأنا فيها لهيودوت وويل ديورنت وابن خلدون وغيرهم من علماء ومؤرخي وفلاسفة العالم، وتتبعناها في البرديات واللوحات الفرعونية، وجمعنا خلاصة التجارب منذ دخل الدكتور راين المعمل إلى أن قدم البروفسور سلام شهادته العلمية.

وبقى سؤال واحد: هل يوجد لدينا مثال واحد استطاع صاحبه أن يفر من قدرة الذي منح القدرة على التنبؤ به؟

إنها رحلة تكاد الأسئلة فيها تزيد عن الأجوبة، ولكنها - حسب ظني - رحلة مثيرة، وممتعة.

مراجع الكتاب

أولاً: الكتب:

- ١ - حكمة الصين - محمد فؤاد شيل - دار المعارف - مصر.
- ٢ - قصة الحضارة - ويل ديورنت - ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين - لجنة التأليف والترجمة - جامعة الدول العربية.
- ٣ - أساطير الأولين - ميخائيل جبرائيل - مطبعة المرسلين اليسوعيين - بيروت - ١٨٩٤.
- ٤ - تاريخ هيرودوت - ترجمه عن الفرنسية: حبيب بسترس - مطبعة القديس جاورجيوس - بيروت - ١٨٨٦.
- ٥ - مصر القديمة - سليم حسن - دار الكتب المصرية.
- ٦ - موسوعة تاريخ مصر - أحمد حسين - دار الشعب - مصر.
- ٧ - تاريخ التمدن الإسلامي - جورج زيدان - دار الهلال - مصر.
- ٨ - المقدمة - ابن خلدون - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٩ - الكامل - ابن الأثير - دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٠ - البداية والنهاية - ابن كثير - دار الفكر العربي - مصر.

- ١١ - مروج الذهب - المسعودي - دار المعرفة - بيروت .
- ١٢ - نفح الطيب - المقرئ - دار المأمون - مصر .
- ١٣ - ملوك الطوائف - دوزي - ترجمة كامل كيلاني - نشر عيسى البابي الحلبي - مصر ١٩٣٣ .
- ١٤ - الترغيب والترهيب - المنذري - دار الحديث - مصر .
- ١٥ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني تحقيق: محب الدين الخطيب - فؤاد عبد الباقي - الدار السلفية - مصر .
- ١٦ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - طبعة عيسى البابي الحلبي - مصر .
- ١٧ - السيرة النبوية - ابن هشام - المكتبة التوفيقية - مصر .
- ١٨ - مفتاح دار السعادة - طاش كبرى زاده - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٥ .
- ١٩ - تفسير الألوسي - طبعة بولاق - مصر .
- ٢٠ - نهاية الأرب في فنون العرب - شهاب الدين النويري - دار الكتب المصرية - ١٩٣٠ .
- ٢١ - نبوءات نوستراداموس - د/ دو فون برون - ترجمة أسامة الحاج - دار التوجيه اللبناني .
- ٢٢ - فكرة الزمان عبر التاريخ - مجموعة مؤلفين بإشراف جون جرانت وكولن ويلسن - ترجمة فؤاد كامل - سلسلة عالم المعرفة - الكويت ١٩٩٢ ، عدد ١٥٩ .
- ٢٣ - عقول المستقبل - جون ج تايلور - ترجمة د. لطفي فطيم - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - ١٩٨٥ عدد - ٩٢ .
- ٢٤ - الإدراك الحسي عند ابن سينا - الدكتور عثمان نجاتي - دار المعارف - مصر - ١٩٤٦ .
- ٢٥ - الله - العقاد - دار المعارف - مصر - ط ٣ .

- ٢٦- الروح والخلود بين العلم والفلسفة - عبد العزيز جادو - دار المعارف - مصر - سلسلة اقرأ - رقم ٣٢٦.
- ٢٧ - حقيقة الإنسان - دكتور عيسى عبده، أحمد إسماعيل يحيى، دار المعارف - مصر - ط ٢ - ١٩٨٨
- ٢٨ - زاد المعاد - ابن القيم - تحقيق عبد القادر وشعيب الأرنؤوط - دار المنار - دار الرسالة - بيروت.
- ٢٩ - الرؤى والأحلام - أحمد عز الدين البيانوني - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - مصر - ١٩٨٥ - ط ٢.
- ٣٠ - التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام - د. توفيق الطويل - دار إحياء الكتب العربية - مصر - ١٩٤٥.
- ٣١ - العلم وتفسير الأحلام - دكتور عبد الرحمن نور الدين - دار الهلال - مصر - ١٩٩٠.
- ٣٢ - الكتاب المقدس - جمعية الكتاب المقدس - مصر ١٩٦٩.
- ٣٣ - المسلمون والعلم - للعالم الباكستاني محمد عبد السلام - ترجمة د. ممدوح كامل الموصلي - دار الغد للنشر والدعاية والإعلان - مصر ١٩٨٦.
- ٣٤ - من سلسلة أغرب من الخيال - تأليف راجي عنایت:
- عجائب العقل البشري
 - ظاهرة خارقة حيرت العلماء.
 - رجل يعرف كل الأسرار
 - تفسير الأحلام والتنجيم

ثانياً: الدوريات:

٢- مجلة العربي الكويت عدد سبتمبر ١٩٨٨

٣- جريدة أخبار الحوادث - مصر - عدد ٢١ / ٥ / ١٩٩٢

سيرة المؤلف:

** كاتب مقال بجريدة المستقبل (اللبنانية)، جريدة عمان (العمانية)، جريدة الحياة (اللندنية)، مجلة المجلة (اللندنية).

** أعدَّ وقَدَّم برنامج "ساعة من القاهرة" - قناة الاتجاه (العراق) - مباشر - (٢٠١١ - ٢٠١٣).

** ** أعدَّ وقَدَّم برنامج "إسلاميون" - قناة فلسطين اليوم (لبنان) - مسجل - (٢٠١٣ - ٢٠١٥).

أولاً: ترجمات في معاجم وموسوعات

** ترجمة في الطبعة الأولى من: "معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين". (مؤسسة البابطين - الكويت).

** ترجمة في الطبعة الأولى من: "معجم أدباء مصر" (الهيئة العامة لقصور الثقافة - مصر).

** ترجمة في الطبعة الأولى من: "الموسوعة الكبرى للشعراء العرب المعاصرين: ١٩٥٦ - ٢٠٠٦" - إعداد وتقديم: فاطمة بوهراكة - المغرب - ٢٠٠٩ - برعاية الشيخة أسماء بنت صقر القاسمي.

** ترجمة في الطبعة الأولى من: "معجم الأدباء: من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢" - كامل سليمان الجبوري - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢ - ١٤٢٤ هـ - هجرية.

دراسات في الظاهرة الدينية

** المسلمون ومؤامرات الإبادة - مكتبة مدبولي الصغير - مصر - ١٩٩٤.

** الإسلاميون والعلمانيون من الحوار إلى الحرب

الطبعة الأولى - دار البيارق - الأردن - ١٩٩٩.

الطبعة الثانية - مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع -

الأردن.

**** البابا شنودة والقدس: الحقيقي والمعلن** خلود للنشر - مصر - ٢٠٠٠.

**** الشعراوي والكنيسة: ماذا قال الأنبا للشيخ؟**

**** الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة في آتون ١١ سبتمبر: مفارقات النشأة**

ومجازفات التحول - مكتبة مدبولي - مصر - ٢٠٠٥.

**** الإسلام في مرمى نيران العلمانية الفرنسية: ما وراء الحرب الأوروبية على الحجاب**

والنقاب - مكتبة بيروت - مصر / سلطنة عمان - ٢٠١٠.

**** طارق البشري: القاضي.. المؤرخ.. المفكر.. وداعية الإصلاح - سلسلة أعلام**

الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي - مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - لبنان - الطبعة

الأولى ٢٠١١.

**** عبد الوهاب المسيري: من المادية إلى الإنسانية الإسلامية - سلسلة أعلام الفكر**

والإصلاح في العالم الإسلامي - رقم ٧ - مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - لبنان -

الطبعة الأولى ٢٠٠٨.

**** مراجعات الإسلاميين (الجزء الأول) - تأليف بالاشتراك - مركز المسبار**

للدراسات والبحوث - الإمارات - سلسلة كتاب المسبار الشهري - العدد السادس والثلاثون

- ديسمبر ٢٠٠٩.

**** السلفيون من الظل إلى قلب المشهد - دار أخبار اليوم - مصر - ٢٠١٢.**

مؤلفات إبداعية منشورة

**** نقوش على قبور الشهداء (ديوان شعر).**

مركز يافا للدراسات والأبحاث - مصر - الطبعة الأولى ١٩٩٦.

**** عاصمة للبيع (مسرحية).**

دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة - دولة الإمارات - ٢٠٠٠.

**** الحلم المسروق (ديوان شعر بالعامية).**

مركز يافا للدراسات والأبحاث - مصر - ٢٠٠٣.

**** الندى والموت (ديوان شعر).**

مركز يافا للدراسات والأبحاث - مصر - ٢٠٠٣.

**** القاهرة.. بيروت.. باريس (رواية)**

الدار العربية للعلوم - بيروت - ٢٠٠٦.

**** أهي القدس؟ - ديوان شعر - مكتبة بيروت - سلطنة عمان - ٢٠٠٩.**

**** الممر - رواية - مكتبة بيروت - سلطنة عمان - ٢٠٠٩.**

مؤلفات أخرى منشورة

**** أشهر الأحلام في التاريخ** مكتبة ابن سينا - مصر - ١٩٩٣.

**** التنبؤات والأحلام من الخرافة إلى العلم** دار التضامن - لبنان - ١٩٩٦.

**** ثقافة قبول الآخر - مكتبة الإيمان - مصر - مكتبة جزيرة الورد - مصر -**

٢٠٠٧.

**** مدخل إلى عالم الظواهر الخارقة - مكتبة بيروت - سلطنة عمان - شركة دلتا -**

مصر - ٢٠٠٧.

**** التجسس التكنولوجي: سرقة الأسرار الاقتصادية والتقنية (دراسة في المجتمع ما بعد**

الصناعي) - مكتبة بيروت - سلطنة عمان - شركة دلتا - مصر - ٢٠٠٧.

**** ثقافة السلام - دار ومكتبة الغد - مصر - ٢٠٠٩.**

تأليف بالاشتراك

**** إيران - مصر: مقاربات مستقبلية - (تأليف بالاشتراك) - تحرير: توفيق شومان -**

مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - بيروت - سلسلة الدراسات الإيرانية/ العربية - رقم

١ - الطبعة الأولى - ٢٠٠٩.

**** يوميات الثورة المصرية - (تأليف بالاشتراك) - مركز الجزيرة للدراسات - قطر -**

٢٠١١.

- ** الحركات الإسلامية في الوطن العربي - (تأليف بالاشتراك) - إشراف: الدكتور عبد الغني عماد - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ٢٠١٣.
- ** السعوديون الشيعة: الفكرة والإشكاليات - مركز صناعة الفكر - السعودية - ٢٠١٥.
- ** المجتمع المدني السعودي: الملامح والأدوار - مركز صناعة الفكر - السعودية - ٢٠١٦.

أعمال حققها

- ** ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي (الشوقيات) - تحقيق - مكتبة الإيمان - مصر - مكتبة جزيرة الورد - مصر - ٢٠٠٧.
- ** ديوان الشاعر حافظ إبراهيم - (تحقيق) - مكتبة الإيمان - مصر - مكتبة جزيرة الورد - مصر - ٢٠٠٩.

أعمال أعدها للنشر أو حررها

- اكتشف وأعاد نشر رواية: "اعترافات حافظ نجيب: مغامرات جريئة مذهشة وقعت في نصف قرن" للمغامر المصري حافظ نجيب، وهي الرواية التي اقتبس عنها المسلسل التلفزيوني المصري الشهير "فارس بلا جواد". وقد قدم لها وألحق بها دراسة عن حياة مؤلفها.
- ** اعترافات حافظ نجيب: مغامرات جريئة مذهشة وقعت في نصف قرن (إعداد للنشر).

الطبعة الأولى - ١٩٩٦ - دار الحسام - لبنان - مصر.

الطبعة الثانية - دار الانتشار العربي - بيروت - ٢٠٠٣.

** حرر (بالاشتراك) موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" - ٨ مجلدات - مؤلفها

المفكر العربي الإسلامي المرموق الدكتور عبد الوهاب المسيري - دار الشروق - مصر - ١٩٩٨.

****** حرر (بالاشتراك) موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" - مؤلفها المفكر العربي الإسلامي المرموق الدكتور عبد الوهاب المسيري - نسخة ميسرة ومختصرة (مجلدان) - دار الشروق بمصر بالاشتراك مع مركز زايد للتنسيق والمتابعة بدولة الإمارات - ٢٠٠٤.

****** القمة الأمريكية السعودية الأولى: القمة السرية بين الملك عبد العزيز ابن سعود والرئيس روزفلت (البحيرات المرة - ١٩٤٥) - (تقديم وتحرير ودراسة) - بقلم: الكولونيل: وليم إيدي (أول وزير أمريكي مفوض بالسعودية) - ترجمة: حسن الجزار - مكتبة بيروت - سلطنة عمان - شركة دلنا - مصر - ٢٠٠٨.

****** دع القلق وابدأ الحياة - تأليف: ديل كارنيجي - إعداد وتقديم ودراسة - دار الحرم للتراث - مصر - ٢٠٠٩.

****** كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس - تأليف: ديل كارنيجي - إعداد وتقديم ودراسة - دار الحرم للتراث - مصر - ٢٠٠٩.

****** تربية المرأة والحجاب (ردا على قاسم أمين) - تأليف: محمد طلعت حرب (باشا) - إعداد وتقديم ودراسة - دار الغد للنشر - مصر - ٢٠٠٩.

****** الليبرالية في السعودية: الفكرة.. الممارسة.. الرؤى المستقبلية - مركز صناعة الفكر - السعودية - ٢٠١٣.

أفلام تسجيلية:

***** دولة المنظمة السرية - الفكرة والإعداد والمادة العلمية - إنتاج قناة الجزيرة - قطر - ٢٠٠٩.

جوائز

****** جائزة مؤسسة "اقرأ الخيرية" - مصر - المسابقة الثقافية للشباب لعام ١٩٩١ - المركز الثالث في مجال الشعر.

****** جائزة مؤسسة "اقرأ الخيرية" - مصر - المسابقة الثقافية للشباب لعام ١٩٩٢ - المركز الثاني في مجال المسرح عن نص ما زال مخطوطا.

** جائزة أفضل قصيدة (المركز الثاني) من "المجلس الأعلى للثقافة" - مصر - ١٩٩٩

- عن قصيدة "نقوش على قبر شهيدة".

** جائزة "الإبداع العربي" من: "دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة" بدولة الإمارات

العربية المتحدة في مجال المسرح (المركز الثاني) عام ٢٠٠٠ - عن مسرحية "عاصمة للبيع".

** جائزة "أحمد فتحي عامر" في مجال الشعر (المركز الثاني) من "الهيئة العامة لقصور

الثقافة" - مصر - الدورة الأولى - ٢٠٠٣.

** جائزة "أحمد فتحي عامر" في مجال الرواية (المركز الثالث) من "الهيئة العامة لقصور

الثقافة" - مصر - الدورة الثانية - ٢٠٠٤ - عن رواية "القاهرة - بيروت - باريس".

** جائزة أفضل قصيدة (المركز الثاني) من "نادي جازان الأدبي" بالملكة العربية

السعودية في المسابقة الثقافية لعام ١٤٢٣ هجرية - عن قصيدة "بقصائدي وبقيني".

** عضو اتحاد كتّاب مصر.

للتواصل:

E-Mail: mmshikh@hotmail.com